السعادة والانشراح

في اختصار

حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح

لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية

د. عاصم بن محمد اللحيدان

دار ابن الجوزي

السعادة والانشراح

في اختصار

حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح

ح دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
اللحيدان، عاصم محمد
السعادة والانشراح في اختصار حادي الأرواح. / عاصم محمد اللحيدان. - الدمام، ١٤٣٨هـ.
٧٧ص؛ ١٧×٢٤سم
ردمك: ٨ - ٢١ - ٨٢٢٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١ - الجنة والنار ٢ - الحياة الأخرى أ. العنوان
ديوي ٢٤٣ ١٤٣٨/١٠٤٨٩

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٣٩هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٥٧
الرمز البريدي: ٣٢٢٥٣ - الرقم الإضافي: ٨٤٠٦ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨
جوال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨ - الإحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٨١٣٧٠٦ - بيروت
هاتف: ٨٦٩٦٠٠/٠٣ - فاكس: ٦٤١٨٠١/٠١ - القاهرة - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨
تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠ - الإسكندرية - ٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ - البريد الإلكتروني:
aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com

السعادة والانشراح

في اختصار

حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح

لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية

د. عاصم بن محمد اللحيدان

دار ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

فحيَّ علىٰ جناتٍ عَدْنٍ فإنها

منازلُكَ الأولىٰ وفيها المخيَّمُ

«ابن القيم»

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الحمد للَّه حمد الشاكرين، والثناء عليه ثناء المحبين، أحمده لما هدانا ورزقنا وعافانا، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه، وحده لا شريك له، لا معبود بحق سواه، والصلاة والسلام علىٰ عبده ومصطفاه، أقوم الناس هديًا، وأنصحهم قولًا، وأبرهم قلبًا، محمد ﷺ تسليمًا كثيرًا، وعلىٰ آله وأصحابه إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فيقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة].

في هذه الآية ذكر تعالىٰ حال أوليائه من السعداء المؤمنين به وبرسله، الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة، وفيها وصف للجنة بأنها تجري من تحتها الأنهار، ومعنىٰ: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: من تحت أشجارها وغرفها.

وقد جاء في «الأثر»: «أن أنهارها تجري من غير أخدود». وجاء في الكوثر: «أن حافتيه قباب اللؤلؤ المجوف، وطينها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والجوهر»، نسأل اللَّه من فضله وكرمه إنه هو البر الرحيم[١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن اللَّه ﷻ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة؟ فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضىٰ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»**[٢].

وليس بعد نيل الرضىٰ من اللَّه ﷻ شيء يفقد، ولا أمنية تدرك، فقلِّب طرف فؤادك ـ أيها الراغب ـ في عجائب هذا السفر، فإنه «للمحزون سلوة، وللمشتاق إلىٰ تلك العرائس جلوة، محركٌ للقلوب إلىٰ أجل مطلوب، وحادٍ للنفوس إلىٰ مجاورة الملك القدوس، ممتع لقارئه، مشوق للناظر فيه، لا يسأمه الجليس، ولا يمله الأنيس، مشتمل من بدائع الفوائد وفرائد القلائد علىٰ ما لعل المجتهد في الطلب لا يظفر به فيما سواه من الكتب.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/٢٠٣) بتصرف يسير.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٤٩).

إذا نظر فيه الناظر زاده إيمانًا، وجلَّىٰ عليه الجنة حتىٰ كأنه يشاهدها عيانًا، فهو مثير ساكن العزمات إلىٰ روضات الجنات، وباعث الهمم العليات إلىٰ العيش الهني في تلك الغرفات»[١].

وهو اسم ـ كما قال مؤلفه ـ: «يطابق مسماه «حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح»، ولفظ يوافق معناه، وكان جل المقصود منه: بشارة أهل السنة بما أعد اللَّه لهم في الجنة، فإنهم المستحقون للبشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ونعم اللَّه عليهم باطنة وظاهرة، وهم أولياء الرسول وحزبه»[٢].

واختصار الكتب باب من أبواب التحصيل، ووسيلة من أهم وسائل ضبط العلم، ولذا اهتم به السلف قديمًا، والمتأمل يجد أن جمعًا من فحول الأئمة قد اختصروا كتب من سبقهم، وأحيانًا قد تفقد تلك الأصول لأسباب مختلفة، وتحفظ لنا المختصرات.

فتذليلًا للشوق علىٰ الطالبين، للعيش في هذه الروضة الغنَّاء، وتدنية للمحبوب إلىٰ محبوبه، فقد شرعت في اختصار كتاب: «**حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح**»؛ لتعم به «**السعادة والانشراح**» كل نفس مؤمنة زكية، وقد اعتمدت

---

(١) مقدمة «حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح» (١/١٥ ـ ١٦) باختصار.
(٢) «مقدمة الحادي» (١/١٦).

في الاختصار علىٰ النسخة التي أشرف عليها فضيلة الشيخ بكر بن عبد اللَّه أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ بتحقيق الشيخ: زائد بن أحمد النشيري ـ جزاه اللَّه خيرًا ـ لجودتها وحسنها. وأسميته: «**السعادة والانشراح في اختصار حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح**».

طريقة الاختصار:

١ ـ نسخ نص المؤلف من غير أي تعديل، إلا إذا أثبت المحقق في الحاشية خطأ في الأصل، فأنقل الصحيح من الحاشية وهذا قليل جدًّا. وربما نبهت علىٰ شيء وقع في الأصل وهو نادر، ورمزت في آخره بحرف: (ت).

٢ ـ أثبت في الحاشية مختصرَ ما أفاده المحقق من تخريج، أو تعليق، أو بيان غريب.

٣ ـ أثبت تخريج الحديث مختصرًا عند أول موضع يذكر فيه، ولا ألتزم تكرار ذلك كلما ذكر الحديث.

٤ ـ اجتهد في إثبات جميع مسائل الكتاب؛ ليكون الاختصار شاملًا لمسائله.

٥ ـ حذف ما يلي:

[أ] ما أراه استطرادًا.

[ب] التكرار.

[جـ] الأحاديث والآثار الضعيفة غالبًا، وإلا فأنبه علىٰ ما لابد من ذكره منها.

[د] تعدد الأمثلة والشواهد والأدلة.

فائدة الاختصار:

١ ـ تيسيرًا علىٰ من لم يتهيأ له قراءة الأصل.

٢ ـ أسرع لحفظ المسألة، وأيسر في تكرار القراءة لكل مشتاق للجنة.

٣ ـ تقريب قراءته في المساجد والمجالس.

٤ ـ سهل المحمل؛ ليكون خير رفيق في الأسفار وغيرها.

نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

نسبة الكتاب إلىٰ ابن القيم ثابتة لا شك فيها، ودلائل ذلك من وجوه عديدة منها:

١ ـ إحالة المؤلف في هذا الكتاب علىٰ أحد مؤلفاته، وهو: «اجتماع الجيوش الإسلامية».

٢ ـ إحالة المؤلف في كتابه «الصواعق» علىٰ هذا الكتاب.

٣ ـ مجيء نسبة الكتاب إلىٰ مؤلفه في جميع النسخ الخطية.

٤ ـ ذكر بعض من ترجم للمؤلف: أن له كتابًا بهذا الاسم؛ كابن رجب.

«فيا أيها الناظر فيه لك غنمه، وعلىٰ مؤلفه غرمه، ولك صفوه، وعليه كدره، وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك،

وبنات أفكاره تزف إليك، فإن صادفت كفؤًا كريمًا لم تعدم منه إمساكًا بمعروف أو تسريحًا بإحسان، وإن كان غيره فاللَّه المستعان. فما كان من صواب فمن الواحد المنان، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، واللَّه برئ منه ورسوله»[١].

هذا جهد المقل، والكمال عزيز، والنصح مقبول ممن أسداه في تصحيح أو تقويم، فالمؤمن مرآة أخيه، وأسعد باستقبال ذلك علىٰ البريد: «dr.asem35@gmail.com»

وباللَّه التوفيق والسداد.

(١) «مقدمة الحادي» (١/١٦ ـ ١٧).

السعادة والانشراح

في اختصار

حادي الأرواح

لابن قيم الجوزية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه الذي جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نزلًا، ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها، فلم يتخذوا سواها شغلًا، وسهل لهم طرقها، فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللًا، خلقها لهم قبل أن يخلقهم، وأسكنهم إياها قبل أن يوجدهم، وحجبها بالمكاره، وأخرجهم إلىٰ دار الامتحان؛ ليبلوهم أيهم أحسن عملًا، وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه، وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلًا، وأودعها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر، وجلاها لهم حتىٰ عاينوها بعين البصيرة التي هي أنفذ من رؤية البصر، وبشرهم بما أعد لهم فيها علىٰ لسان رسوله، فهي خير البُشر علىٰ لسان خير البشر، وكمّل لهم البشرىٰ بكونهم: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾ [الكهف: ١٠٨].

والحمد للَّه الذي رضي من عباده، باليسير من العمل، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، وكتب علىٰ نفسه الرحمة، وضمَّن الكتاب الذي كتبه: أن رحمته سبقت غضبه، دعا عباده إلىٰ دار السلام، فعمّهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلا، وخص بالهداية والتوفيق من شاء نعمة

منه وفضلًا، فهذا عدله وحكمته.

فإن اللَّه ﷻ لم يخلق خلقه عبثا، ولم يتركهم سدىٰ، بل خلقهم لأمر عظيم، وخطب جسيم، عُرض علىٰ السماوات والأرض والجبال فأبين وأشفقن منه إشفاقًا ووجلًا، وقلن ربنا إن أمرتنا فسمعًا وطاعة، وإن خيرتنا فعافيتك نريد، لا نبغي بها بدلًا، وحمله الإنسان علىٰ ضعفه وعجزه عن حمله، وناء به علىٰ ظلمه وجهله، فألقىٰ أكثر الناس الحمل عن ظهورهم؛ لشدة مؤنته عليهم وثقله، فصحبوا الدنيا صحبة الأنعام السائمة، لا ينظرون في معرفة موجدهم وحقه عليهم، ولا في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلىٰ هذه الدار، التي هي طريق ومعبر إلىٰ دار القرار، ولا يتفكرون في قلة مقامهم في الدنيا الفانية، وسرعة رحيلهم إلىٰ الآخرة الباقية، فقد ملكهم باعث الحس، وغاب عنهم داعي العقل، وشملتهم الغفلة، وغرتهم الأماني الباطلة، والخدع الكاذبة، فخدعهم طول الأمل، وران علىٰ قلوبهم سوء العمل، فهممهم في لذات الدنيا، وشهوات النفوس، وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثوابًا من اللَّه ولا رضوانًا: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧]. ﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

والعجب كل العجب من غفلة من لحظاته معدودة عليه، وكل نفس من أنفاسه لا قيمة له، إذا ذهب لم يرجع إليه،

فمطايا الليل والنهار تسرع به، ولا يتفكر إلىٰ أين يحمل، ويسار به أعظم من سير البريد، ولا يدري إلىٰ أي الدارين ينقل، فإذا نزل به الموت أشتد قلقه لخراب ذاته، وذهاب لذَّاته، لا لما سبق من جناياته، وسلف من تفريطه، حيث لم يقدم لحياته، فإن خطرت له خطرة عارضة لما خلق له، دفعها باعتماده علىٰ العفو، وقال: قد أنبأنا اللَّه أنه هو الغفور الرحيم، وكأنه لم يُنَبَّأ: أنَّ عذابه هو العذاب الأليم.

(فصل)

ولما علم الموفقون ما خلقوا له، وما أريد بإيجادهم، رفعوا رؤوسهم، فإذا علم الجنة قد رفع لهم، فشمروا إليه، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم، فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظم الغبن[١] بيع ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، في أبدٍ لا يزول، ولا ينفذ بصبابة[٢] عيش، إنما هو كأضغاث أحلام، أو كطيف[٣] زار في المنام، مشوب بالنغص[٤]، ممزوج بالغصص[٥]، إن أضحك قليلًا أبكىٰ كثيرًا، وإن سَرَّ يومًا أحزن شهورًا، آلامه تزيد علىٰ لذّاته، وأحزانه أضعاف مسراته، أوله مخاوف، وآخره متآلف.

فيا عجبًا من سفيه في صورة حكيم، ومعتوه في مسلاخ[٦] عاقل، آثر الحظ الفاني الخسيس، علىٰ الحظ الباقي النفيس، وباع جنة عرضها السماوات والأرض، بسجن ضيق بين أرباب العاهات، ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من

---

(١) الغبن: النقص.
(٢) الصبابة: البقيَّة من الماء في الإناء، والمعنىٰ: بحياة قصيرة.
(٣) الطائف: ما كان كالخيال، يلم بالشخص.
(٤) النغص: الكدر.
(٥) الغُصص: ما اعترض في الحَلْق من شجىٰ أو طعام أو شراب.
(٦) المسلاخ: الإهاب، أي: الجلد.

تحتها الأنهار بأعطان[١] ضيقة آخرها الخراب والبوار، وأبكارًا عُرُبًا أترابًا كأنهن الياقوت والمرجان، بقذراتٍ دنسات سيئات الأخلاق مسافحات، أو متخذات أخدان[٢] وحورًا مقصورات في الخيام، بخبيثات مسيبات بين الأنام، وأنهارًا من خمرٍ لذةٍ للشاربين، بشرابٍ نجس مذهب للعقل مفسدٍ للدنيا والدين، ولذة النظر إلىٰ وجه العزيز الرحيم، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم، وسماع الخطاب من الرحمن بسماع المعازف والغناء والألحان، والجلوس علىٰ منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد، بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد، ونداء المنادي يا أهل الجنة: «**إن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا، وتحيوا فلا تموتوا، وتقيموا فلا تظعنوا، وتشبوا فلا تهرموا**»[٣].

يظهر الغبن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة، وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة، إذا حشر المتقون إلىٰ الرحمن وفدا، وسيق المجرمون إلىٰ جهنم وردا، ونادىٰ المنادي علىٰ رؤوس الأشهاد، ليعلمن أهل الموقف من أولىٰ بالكرم من بين العباد، فلو توهم المتخلف عن

---

(١) الأعطان: مبارك الإبل.

(٢) أخدان: جمع خدن، وهو الصديق.

(٣) رواه مسلم.

هذه الرفقة ما أعد اللَّه لهم من الإكرام، وادخر لهم من الفضل والإنعام، وما أخفىٰ لهم من قرة أعين، لم يقع علىٰ مثلها بصر، ولا سمعته أذن، ولا خطر علىٰ قلب بشر؛ لعلم أي بضاعة أضاع، وأنه لا خير له في حياته وهو معدود من سقط المتاع، وعلم أن القوم قد توسطوا ملكًا كبيرًا، لا تعترية الآفات، ولا يلحقه الزوال، وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الكبير المتعال.

فهم في روضات الجنة يتقلبون، وعلىٰ أسرتها تحت الحجال يجلسون، وعلىٰ الفرش التي بطائنها من استبرق يتكئون، وبالحور العين يتمتعون، وبأنواع الثمار يتفكهون، و﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الواقعة].

تاللَّه لقد نودي عليها في سوق الكساد، فما قلَّب ولا استام إلا أفرادٌ من العباد، فواعجبًا لها كيف نام طالبها؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها؟ وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها؟ وكيف قر للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها؟ وكيف قرت دونها أعين المشتاقين؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين؟ وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين؟ وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين؟

بـــذيَّالك الـــوادي يهـــيم صـــبابة

محـــب يـــرىٰ أن الـــصبابة مغـــنم

وللَّه أفـــراح المحبـــين عـــندما

يخاطـــبهم مـــن فـــوقهم ويـــسلم

وللَّـــه أبـــصار تـــرىٰ اللَّـــه جهـــرة

فـــلا الـــضيم يغـــشاها ولا هـــي تـــسأم

فـــيا نظـــرة أهـــدت إلـــىٰ الـــوجه نـــضرة

أمـــن بعـــدها يـــسلو المحـــب المتـــيم

وللَّه كـــم مـــن خيـــرة إن تبـــسمت

أضـــاء لهـــا نـــور مـــن الفجـــر أعظـــم

فـــيا لـــذة الأبـــصار إن هـــي أقـــبلت

ويـــا لـــذة الأســـماع حـــين تكلـــم

فيا خاطب الحسناء إن كنت راغبا

فهـــذا زمـــان المهـــر فهـــو المقـــدم

فحـــي علـــىٰ جـــنات عـــدن فإنهـــا

مـــنازلك الأولـــىٰ وفـــيها المخـــيم

ولكننا سبي العدو فهل ترىٰ
نعود إلىٰ أوطاننا ونسلم
وحي علىٰ السوق الذي فيه يلتقي الـ
ـمحبون ذاك السوق للقوم مُعلم
فما شئت خذ منه بلا ثمن له
فقد أسلف التجار فيه وأسلموا
وحي علىٰ يوم المزيد الذي به
زيارة رب العرش فاليوم موسم
وحي علىٰ واد هنالك أفيح[1]
وتربته من أذْفَر المسك أعظم
منابر من نور هناك وفضة
ومن خالص العقيان[2] لا يتقصم
وكثبان مسك قد جعلن مقاعدا
لمن دون أصحاب المنابر تعلم

---

(١) الأفيح: الواسع.
(٢) العقيان: ذهب متكاثف في مناجمه.

فبينا هموا في عيشهم وسرورهم

وأرزاقهم تجري عليهم وتقسم

إذا هم بنور ساطع أشرقت له

بأقطارها الجنات لا يتوهم

تجلىٰ لهم رب السماوات جهرة

فيضحك فوق العرش ثم يكلم

سلام عليكم يسمعون جميعهم

بآذانهم تسليمه إذ يسلم

يقول سلوني ما أشتهيتم فكل ما

تريدون عندي إنني أنا أرحم

فقالوا جميعًا نحن نسألك الرضا

فأنت الذي تولىٰ الجميل وترحم

فيعطيهم هذا ويشهد جميعهم

عليه تعالىٰ اللَّه فاللَّه أكرم

فيا بائعا هذا ببخس معجل

كأنك لا تدري بلىٰ سوف تعلم

فـإن كـنت لا تـدري فـتلك مـصيبة

وإن كـنت تـدري فالمـصيبة أعظـم

(فصل)

وهٰذا كتاب: للمحزون سلوة، وللمشتاق إلىٰ تلك العرائس جلوة، محرك للقلوب إلىٰ أجل مطلوب، وحادٍ للنفوس إلىٰ مُجاورة الملك القدوس، ممتع لقارئه، مشوق للناظر فيه، لا يسأمه الجليس، ولا يمله الأنيس، مشتمل من بدائع الفوائد، وفرائد القلائد. إذا نظر فيه الناظر زاده إيمانًا، وجلىٰ عليه الجنة حتىٰ كأنه يشاهدها عيانًا، فهو مثير ساكن العزمات إلىٰ روضات الجنات، وباعث الهمم العليات إلىٰ العيش الهني في تلك الغرفات.

جُل المقصود منه: بشارة أهل السنة بما أعد اللَّه لهم في الجنة، فإنهم المستحقون للبشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

فيا أيها الناظر فيه لك غنمه، وعلىٰ مؤلفه غرمه، ولك صفوه، وعليه، كدره.

وقد قسمت الكتاب سبعين بابًا:

الباب الأول: في بيان وجود الجنة الآن.

الباب الثاني: في اختلاف الناس في الجنة التي أسكنها آدم، هل هي جنة الخلد أو جنة أخرىٰ في الأرض؟

الباب الثالث: في سياق حجج من ذهب إلىٰ أنها جنة الخلد.

الباب الرابع: في سياق حجج الطائفة التي قالت إنها في الأرض.

الباب الخامس: في جواب أرباب هذا القول لمن نازعهم.

الباب السادس: في جواب من زعم أنها جنة الخلد عن حجج منازعيهم.

الباب السابع: في ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد.

الباب الثامن: في الجواب عما احتجوا به من الشبه.

الباب التاسع: في ذكر عدد أبواب الجنة.

الباب العاشر: في ذكر سعة أبوابها.

الباب الحادي عشر: في صفة أبوابها.

الباب الثاني عشر: في ذكر مسافة ما بين الباب والباب.

الباب الثالث عشر: في مكان الجنة، وأين هي؟

الباب الرابع عشر: في مفتاح الجنة.

الباب الخامس عشر: في توقيع الجنة ومنشورها الذي يكتب لأهلها.

الباب السادس عشر: في بيان توحد طريق الجنة، وأنه ليس لها إلا طريق واحد.

الباب السابع عشر: في درجات الجنة.

الباب الثامن عشر: في ذكر أعلىٰ درجاتها واسم تلك الدرجة.

الباب التاسع عشر: في عرض الرب تعالىٰ سلعته الجنة علىٰ عباده وثمنها الذي طلبه منهم، وعقد التبايع الذي وقع بين المؤمنين وبين ربهم.

الباب العشرون: في طلب الجنة أهلها من ربهم، وشفاعتها فيهم وطلبهم لها.

الباب الحادي والعشرون: في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقها.

الباب الثاني والعشرون: في عدد الجنات وأنواعها.

الباب الثالث والعشرون: في خلق الرب تعالىٰ لبعضها بيده.

الباب الرابع والعشرون: في ذكر بوابيها وخزنتها.

الباب الخامس والعشرون: في ذكر أول من يقرع باب الجنة.

الباب السادس والعشرون: في ذكر أول الأمم دخولا الجنة.

الباب السابع والعشرون: في ذكر السابقين من هذه الأمة إلىٰ الجنة وصفتهم.

الباب الثامن والعشرون: في سبق الفقراء الأغنياء إلىٰ الجنة.

الباب التاسع والعشرون: في ذكر أصناف أهل الجنة التي ضُمِّنت لهم دون غيرهم.

الباب الثلاثون: في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ.

الباب الحادي والثلاثون: في أن النساء في الجنة والنار أكثر من الرجال.

الباب الثاني والثلاون: في من يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب، وذكر أوصافهم.

الباب الثالث والثلاثون: في ذكر حثيات الرب ﷻ الذين يدخلهم الجنة.

الباب الرابع والثلاثون: في ذكر تربة الجنة وطينتها وحصبائها وبنائها.

الباب الخامس والثلاثون: في ذكر نورها وبياضها.

الباب السادس والثلاثون: في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها وخيامها.

الباب السابع والثلاثون: في ذكر معرفتهم بمنازلهم ومساكنهم إذا دخلو الجنة، وإن لم يروها قبل ذلك.

الباب الثامن والثلاثون: في كيفية دخولهم الجنة وما يُستقبلون به عند دخولها.

الباب التاسع والثلاثون: في ذكر صفة أهل الجنة في خَلقهم وخُلقهم وطولهم وعرضهم ومقدار أسنانهم.

الباب الأربعون: في ذكر أعلىٰ أهل الجنة منزلة وأدناهم.

الباب الحادي والأربعون: في تحفة أهل الجنة أول ما يدخلونها.

الباب الثاني والأربعون: في ذكر ريح الجنة، ومن مسيرة كم يوجد.

الباب الثالث والأربعون: في الأذان الذي يؤذن به المؤذن فيها.

الباب الرابع والأربعون: في أشجار الجنة وبساتينها وظلالها.

الباب الخامس والأربعون: في ذكر ثمارها وتعدد أنواعها وصفاتها.

الباب السادس والأربعون: في ذكر الزرع في الجنة.

الباب السابع والأربعون: في ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذي تجرىٰ عليه.

الباب الثامن والأربعون: في ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه.

الباب التاسع والأربعون: في ذكر آنيتهم التي يأكلون ويشربون فيها وأجناسها وصفاتها.

الباب الخمسون: في ذكر لباسهم وحليتهم وفرشهم وبسطهم وجنابذهم[1] ونمارقهم وزرابيهم.

الباب الحادي والخمسون: في ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم.

الباب الثاني والخمسون: في ذكر خدم أهل الجنة وغلمانهم.

الباب الثالث والخمسون: في ذكر نساء أهل الجنة وسراريهم وأصنافهن وأوصافهن وجمالهن الظاهر والباطن.

الباب الرابع والخمسون: في ذكر المادة التي خلق منها الحور العين، وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم بأزواجهن.

---

(١) واحدها: جُنبُذة: وهو ما ارتفع من الشيء واستدار كالقُبة.

الباب الخامس والخمسون: في ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذهم بذلك، ونزاهته عن المذي والمني.

الباب السادس والخمسون: في ذكر اختلاف الناس، هل في الجنة حمل وولادة أم لا؟ وحجة الفريقين.

الباب السابع الخمسون: في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين.

الباب الثامن والخمسون: في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم.

الباب التاسع والخمسون: في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضًا ومذاكرتهم ما كان بينهم في الدنيا.

الباب الستون: في ذكر سوق الجنة وما أعد اللَّه فيه لأهلها.

الباب الحادي والستون: في زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالىٰ.

الباب الثاني والستون: في ذكر السحاب والمطر الذي يصيبهم في الجنة.

الباب الثالث والستون: في ذكر مُلكِ الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها.

الباب الرابع والستون: في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال، وأن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها.

الباب الخامس والستون: في رؤية أهل الجنة ربهم ﷻ بأبصارهم جهرة كما يُرىٰ القمر ليلة البدر، وتجليه لهم ضاحكا.

الباب السادس والستون: في تكليمه سبحانه لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرته إياهم وسلامه عليهم.

الباب السابع والستون: في أبدية الجنة وأنها لا تفنىٰ ولا تبيد.

الباب الثامن والستون: في ذكر آخر أهل الجنة دخولا إليها.

الباب التاسع والستون: وهو باب جامع فيه فصول منثورة.

الباب السبعون: في ذكر المستحق لهذه البشرىٰ دون غيره.

الباب الأول

(في بيان وجود الجنة الآن)

لم يزل أصحاب رسول اللَّه ﷺ والتابعون وتابعوهم، وأهل السنة والحديث قاطبة، وفقهاء الإسلام، وأهل التصوف والزهد: علىٰ اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين في ذلك إلىٰ نصوص الكتاب والسنة، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلىٰ آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها، إلىٰ أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن، وقالت: بل اللَّه ينشئها يوم المعاد.

وحملهم علىٰ ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعةً لما يفعله اللَّه تعالىٰ، وأنه ينبغي له أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه علىٰ خلقه في أفعاله، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات.

وقالوا: خلْق الجنة قبل الجزاء عبث، فإنها تصير معطلة. فحجروا علىٰ الرب تعالىٰ بعقولهم الفاسدة.

ويذكر السلف في عقائدهم قاطبة لا يختلفون فيها: أن الجنة والنار مخلوقتان، وقد دل علىٰ ذلك من القرآن

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم].

وقد رأىٰ النبي ﷺ سدرة المنتهىٰ، ورأىٰ عندها الجنة، كما جاء في حديث أنس في قصة الإسراء وفي آخره: «**ثم انطلق بي جبريل حتىٰ أتىٰ سدرة المنتهىٰ فغشيها ألوان لا أدرىٰ ما هي؟ قال: ثم دخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك**»(١).

وفي حديث عبد اللَّه بن عمر: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض علىٰ مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة؛ فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار؛ فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتىٰ يبعثك اللَّه تعالىٰ يوم القيامة**»(٢).

وفي حديث البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فذكر الحديث بطوله وفيه: «**فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها**»(٣).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه أحمد. وقال ابن القيم: حديث ثابت مشهور مستفيض، صححه جماعة من الحفاظ.

وفي حديث أنس بن مالك: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره، وتولىٰ عنه أصحابه ـ وإنه ليسمع قرع نعالهم ـ قال: فيأتيه ملكان فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد اللَّه ورسوله، قال: فيقولان له: أنظر إلىٰ مقعدك من النار، قد أبدلك اللَّه به مقعدًا في الجنة**». قال نبي اللَّه ﷺ: «**فيراهما جميعًا**»(١).

وفي حديث أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود، ولا برفع رؤسكم، فإني أراكم من أمامي ومن خلفي، وأيم الذي نفسي بيده؛ لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلًا، وبكيتم كثيرًا**». قالوا: وما رأيت يا رسول اللَّه. ﷺ قال: «**رأيت الجنة والنار**»(٢).

وفي الصحيحين: «**اختصمت الجنة والنار، فقالت الجنة: يا رب ما لها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم؟ وقالت النار: يا رب ما لها يدخلها الجبارون والمتكبرون؟ فقال: أنت رحمتي أصيب بك من أشاء، وأنت عذابي أصيب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها**».

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

وفي البخاري عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**بينما أنا أسير في الجنة، وإذا بنهر في الجنة حافتاه قباب الدر المجوف، قال: قلت ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أَذفَر**»[(١)].

وعن جابر قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**دخلت الجنة فرأيت فيها قصرًا ودارًا، فقلت: لمن هذا؟ فقيل: لرجل من قريش، فرجوت أن أكون أنا هو، فقيل لعمر بن الخطاب، فلولا غيرتك يا أبا حفص لدخلته**». قال فبكىٰ عمر، وقال: (أويغار عليك يا رسول اللَّه؟)[(٢)].

(١) الأذفر: الشديد الطيب الرائحة.

(٢) رواه مسلم.

الباب الثاني

(في اختلاف الناس في الجنة التي أُسكِنها آدم عليه الصلاة والسلام، هل هي جنة الخلد، أو جنةٌ أخرى غيرها في موضع عالٍ من الأرض؟)

قال منذر بن سعيد: وأما قوله تعالىٰ لآدم: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]. فقالت طائفة: أسكن اللَّه آدم جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة. وقال آخرون: هي جنة غيرها جعلها اللَّه له، وأسكنه إياها، ليست جنة الخلد. قال: وهذا قول يكثر الدلائل الشاهدة له، والموجبة للقول به.

وقال أبو الحسن الماوردي: ومن قال بهذا اختلفوا علىٰ قولين:

أحدهما: أنها في السماء؛ لأنه أهبطهما منها، وهذا قول الحسن.

الثاني: أنها في الأرض؛ لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيا عنها، دون غيرها من الثمار، وهذا قول ابن بحر.

الباب الثالث

(في سياق حجج من اختار أنها جنةُ الخلد التي يدخلها الناسُ يوم القيامة)

قالوا: هذا هو الذي فطر اللَّه عليه الناس؛ صغيرهم وكبيرهم، لم يخطر بقلوبهم سواه، وأكثرهم لا يعلم في ذلك نزاعًا. عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «**يجمع اللَّه تعالىٰ الناس، فيقوم المؤمنون حتىٰ تزلف**[1] **لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة. فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم؟**»[2].

قالوا: وهذا يدل علىٰ أن الجنة التي أُخرج منها هي بعينها التي تُطلب منه أن يستفتحها.

وحديث احتجاج آدم وموسىٰ، وقول موسىٰ: «**أخرجتنا ونفسك من الجنة**»[3]. ولو كانت في الأرض، فهم قد خرجوا من بساتين، فلم يخرجوا من الجنة. وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة: «**وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم**».

---

(١) تزلف: تقرب.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

وفي سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]، عقيب قوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ فدل علىٰ أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض.

قالوا: وقد وصف سبحانه جنة آدم بصفاتٍ لا تكون إلا في جنة الخلد فقال: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه]. وهذا لا يكون في الدنيا أصلًا، فإن الرجل ولو كان في أطيب منازلها، فلا بد أن يعرض له شيء من ذلك.

وقال تعالىٰ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا﴾ [طه]. وهذا يدل علىٰ أن المخاطب بالإهباط هو آدم، ومن زين له المعصية، ودخلت الزوجة تبعًا.

قالوا: فالجنة جاءت معرفة بلام التعريف في جميع المواضع كقوله: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾، ونظائره، ولا جنة يعهدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنة الخلد التي وعد الرحمن عباده بالغيب.

الباب الرابع

(في سياق حجج الطائفة التي قالت: ليست جنةَ الخلد؛ وإنما هي جنةٌ في الأرض)

قالوا: قد أخبر اللَّه سبحانه علىٰ لسان جميع رسله: أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة، ولم يأت زمن دخولها بعد.

قالوا: فوجدنا اللَّه تعالىٰ وصف الجنة التي أعدت للمتقين بإنها: ﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾، فمن دخلها أقام بها، ولم يقم آدم بالجنة التي دخلها. ووصفها بأنها: ﴿جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾، وآدم لم يخلد فيها. ووصفها بأنها: دار ثواب وجزاء لا دار تكليف وأمر ونهىٰ. ووصفها بأنها: دار لا يعصي اللَّه فيها أبدًا، وقد عصىٰ آدم ربه. ووصفها بأنها: ليست دار خوف ولا حزن، وقد حصل للأبوين فيها من الخوف والحزن ما حصل. وسماها دار السلام، ولم يسلم فيها الأبوان من الفتنة. وقال في داخليها: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، وقد أخرج منها الأبوان. وأخبر أنه: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: ٢٣]، وقد سمع فيها آدم لغو إبليس وإثمه.

الباب الخامس

(في جواب أرباب هذا القول لأصحاب القول الأول)

قالوا: أما قولكم: إن قولنا هو الذي فطر اللَّه عليه عباده، بحيث لا يعرفون سواه، فالمسألة سمعية لا تعرف إلا بأخبار الرسل، ونحن وأنتم إنما تلقينا هذا من القرآن لا من المعقول ولا من الفطرة، فالمتبع فيه ما دل عليه كتاب اللَّه وسنة رسوله، ونحن نطالبكم بصاحب واحد أو تابع، أو أثر صحيح أو حسن؛ بأنها جنة الخلد التي أعدها اللَّه للمؤمنين بعينها.

وأما استدلالكم بحديث أبي هريرة، وقول آدم: «**وهل أخرجكم منها إلا خطيئة أبيكم؟**». فإنما يدل علىٰ تأخر آدم عليه السلام عن الاستفتاح للخطيئة التي قد تقدمت منه في دار الدنيا، وأنه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة.

الباب السادس

(في جواب من زعم أنها جنةُ الخلد عما احتجَّ به منازعوهم)

قالوا: أما قولكم: إن اللَّه سبحانه أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول إليها يوم القيامة، ولم يأت زمن دخولها بعد. فهذا حق في الدخول المطلق، الذي هو دخول استقرار ودوام، وأما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة.

وقد دخل النبي ﷺ الجنة ليلة الإسراء، وأرواح المؤمنين والشهداء في البرزخ في الجنة.

قالوا: وأما احتجاجكم بسائر الوجوه التي ذكرتموها في الجنة، وأنها لم توجد في جنة آدم عليه السلام من العري، والنصب، والحزن، واللغو، والكذب، وغيرها: فهذا كله حق لا ننكره نحن ولا أحد من أهل الإسلام، ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة، كما يدل عليه سياق الآيات كلها.

الباب السابع

(في ذكر شُبَهِ من زعم أن الجنةَ لم تُخلق بعدُ)

قالوا: لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطرارًا إلىٰ أن تفنىٰ يوم القيامة، وأن يهلك كل ما فيها ويموت، لقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]. و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [العنكبوت: ٥٧]. فتموت الحور العين التي فيها والولدان، وقد أخبر اللَّه سبحانه أن الدار دار خلود، ومن فيها يخلدون لا يموتون فيها، وخبره سبحانه لا يجوز عليه خُلف ولا نسخ.

وأصرح من هذا قول النبي ﷺ: «**من بنىٰ للَّه مسجدًا بنىٰ اللَّه له به بيتًا في الجنة**»(١). وهذه جملة مركبة من شرط وجزاء تقتضي وقوع الجزاء بعد الشرط بإجماع أهل العربية(٢).

وعن أبي موسىٰ الأشعري قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من صلىٰ في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة سوىٰ الفريضة بُنيَ له بيتًا في الجنة**»(٣).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه أحمد.

الباب الثامن

(في الجواب عما احتجَّت به هذه الطائفة)

تقدم ذكر الأدلة الدالة علىٰ وجود الجنة الآن ما فيه كفاية.

فنقول: ما تعنون بقولكم: إن الجنة لم تخلق بعد؟ أتريدون أنها الآن عدم محض لم تدخل إلىٰ الوجود بعد، بل هي بمنزلة النفخ في الصور، وقيام الناس من القبور؟ فهذا قول باطل يرده المعلوم بالضرورة من الأحاديث الصريحة الصحيحة التي تقدم بعضها، وهذا قول لم يقله أحد من السلف، ولا أهل السنة، وهو باطل قطعًا. أم تريدون أنها لم تخلق بكمالها وجميع ما أعد اللَّه فيها لأهلها، وأنها لا يزال اللَّه يحدث فيها شيئًا بعد شيء، وإذا دخلها المؤمنون أحدثَ اللَّه فيها عند دخولهم أمورًا أُخر؟ فهذا حق لا يمكن رده.

وأما احتجاجكم بقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]. فإنما أتيتم من عدم فهمكم معنىٰ الآية، فلا أنتم وفقتم لفهم معناها ولا إخوانكم، وإنما وفق لفهم معناها السلف وأئمة الإسلام، ونحن نذكر بعض كلامهم في الآية.

قال البخاري في «صحيحه» يقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إلا ملكه. ويقال: إلا ما أريد به وجهه.

وقال الإمام أحمد: فأما السماء والأرض فقد زالتا؛ لأن أهلها صاروا إلىٰ الجنة وإلىٰ النار، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب لأنه سقف الجنة، واللَّه ﷻ عليه، فلا يهلك ولا يبيد.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ وذلك أن اللَّه ﷻ أنزل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦]. فقالت الملائكة: هلك أهل الأرض ـ وطمعوا في البقاء ـ فأخبر اللَّه ﷻ عن أهل السموات وأهل الأرض أنهم يموتون، فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ يعني: ميت ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾؛ لأنه حي لا يموت، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت.

وقال: هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بعروتها، المعروفين بها، المقتدىٰ بهم فيها من لدن أصحاب نبينا ﷺ إلىٰ يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها؛ فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق.

وقال: وقد خلقت الجنة وما فيها، وخلقت النار وما فيها، وخلقهما اللَّه ﷻ وخلق الخلق لهما، ولا يفنيان،

ولا يفنىٰ ما فيهما أبدًا.

فإن احتج مبتدع، أو زنديق بقول اللَّه ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ وبنحو هذا من متشابه القرآن، قيل له: كل شيء مما كتب اللَّه عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا، والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة، ولا عند النفخة، ولا أبدًا.

الباب التاسع

(في ذكر عدد أبواب الجنة)

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر:٧٣]. وقال في صفة النار: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١] بغير «واو».

فما السر في حذف الجواب في آية أهل الجنة، وذكره في آية أهل النار؟ يقال: هذا أبلغ في الموضعين، فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة، حتىٰ إذا وصلوا إليها فتحت في وجوههم ففجأهم العذاب بغتة، فحين انتهوا إليها: ﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ بلا مهلة، فلم يستأذن لهم في دخولها ويطلب إلىٰ خزنتها أن يمكنوهم من الدخول.

وأما الجنة فإنها دار اللَّه ودار كرامته، ومحل خواصه وأوليائه، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة، فيرغبون إلىٰ صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم، ويستشفعون إليه بأولي العزم من رسله، وكلهم يتأخر عن ذلك، حتىٰ تقع الدلالة علىٰ خاتمهم وسيدهم وأفضلهم: فيقول: «**أنا لها**». فيأتي إلىٰ تحت العرش ويخر ساجدًا لربه، فيدعه ما شاء اللَّه أن يدعه، ثم يأذن له في رفع رأسه، وأن يسأل حاجته، فيشفع إليه سبحانه في فتح أبوابها فيشفعه، ويفتحها تعظيمًا لخطرها، وإظهارا لمنزلة رسوله وكرامته عليه.

وإن مثل هذه الدار هي دار ملك الملوك ورب العالمين، إنما يدخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التي أولها من حين عقل العبد في هذه الدار إلىٰ أن انتهىٰ إليها، وما ركبه من الأطباق طبقا بعد طبق، وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة، حتىٰ أذن اللَّه تعالىٰ لخاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه في فتحها لهم.

وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور، ولئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان[1] الذي يدخله من شاء، فجنة اللَّه عالية غالية.

وتأمل ما في سوق الفريقين إلىٰ الدارين زمرًا من فرحة هؤلاء بإخوانهم، وسيرهم معهم كل زمرة علىٰ حده، كل مشتركين في عمل، متصاحبين فيه علىٰ زمرتهم وجماعتهم، مستبشرين أقوياء القلوب كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم علىٰ الخير، كذلك يؤنس بعضهم بعضًا، ويفرح بعضهم ببعض.

وكذلك أصحاب الدار الأخرىٰ يساقون إليها زمرًا، يلعن بعضهم بعضًا، ويتأذىٰ بعضهم ببعض، وذلك أبلغ في الخزي والفضيحة والهتيكة، من أن يساقوا واحدًا واحدًا، فلا تهمل تدبر قوله: ﴿زُمَرًا﴾.

وقال خزنة أهل الجنة لأهلها: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾؛

---

(١) الخان: المتجر.

فبدؤوهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر ومكروه، أي: سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون، ثم قال لهم: ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا﴾ أي: سلامتكم ودخولها بطيبكم، فإن اللَّه حرمها إلا علىٰ الطيبين، فبشروهم بالسلامة والطيب، والدخول والخلود.

وأما أهل النار: فإنهم لما انتهوا إليها علىٰ تلك الحال من الهم والغم والحزن، وفتحت لهم أبوابها، وقفوا عليها وزيدوا علىٰ ما هم عليه توبيخ خزنتها، وتبكيتهم لهم بقولهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠]. فاعترفوا وقالوا: بلىٰ. فبشروهم بدخولها والخلود فيها، وأنها بئس المثوىٰ لهم.

وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها: ﴿ادْخُلُوهَا﴾، وقول خزنة النار لأهلها: ﴿ادْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ [الزمر: ٧٢]. تجد تحته سرًّا لطيفًا، ومعنىٰ بديعًا لا يخفىٰ علىٰ المتأمل، وهو: أنها لما كانت دار العقوبة، وأبوابها أفظع شيء وأشده حرًّا وأعظم غمًّا، يستقبل فيها الداخل من العذاب ما هو أشد منها، ويدنوا من الغمّ والخزي والحزن والكرب بدخول الأبواب، قيل: ادخلوا أبوابها صغارًا لهم، وإذلالًا وخزيًا، ثم قيل لهم: لا يقتصر بكم علىٰ مجرد دخول الأبواب الفظيعة، ولكن وراءها الخلود في النار.

وأما الجنة فهي دار الكرامة، والمنزل الذي أعده اللَّه

لأوليائه، فبشروا من أول وهلة بالدخول إلىٰ المقاعد والمنازل والخلود فيها.

وتأمل قوله سبحانه: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝٥١﴾ [ص]. كيف تجد تحته معنىٰ بديعًا، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم، بل تبقىٰ مفتحة كما قال. وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ﴾ [الهمزة: ٨]، أي: مطبقة مغلقة، ومنه سمي الباب وصيدًا وهي: ﴿مُّؤۡصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَۭ ۝٩﴾ قد جعلت العمد ممسكة للأبواب من خلفها، كالحجر العظيم الذي يُجعل خلف الباب.

وأيضًا: فإن في تفتيح الأبواب لهم إشارة إلىٰ تصرفهم وذهابهم، وإيابهم وتبوئهم في الجنة حيث شاؤوا، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم، ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت.

وأيضًا: إشارة إلىٰ أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلىٰ غلق الأبواب، كما كانوا يحتجون إلىٰ ذلك في الدنيا.

الباب العاشر

(في ذكر سعة أبوابها)

عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهَجَر، أو هجر ومكة»[1]. وفي لفظ: «لكما بين مكة وهجر» أو «كما بين مكة وبصرىٰ».

(١) متفق عليه.

الباب الحادي عشر
(في صفة أبوابها، وأنها ذاتُ حِلَقٍ)

عن قتادة قال: أبواب يرىٰ ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، تتكلم وتُكلم، وتفهم ما يقال لها: انفتحي انغلقي.

(فصل)

ولما كانت الجنان درجات بعضها فوق بعض، كانت أبوابها كذلك، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها، وكلما علت الجنة اتسعت، فعاليها أوسع مما دونه، وسعة الباب بحسب وسع الجنة، ولعل هذا وجه الاختلاف الذي جاء في مسافة ما بين مصراعي الباب، فإن أبوابها بعضها أعلىٰ من بعض.

ولهذه الأمة باب مختص يدخلون منه دون سائر الأمم.

الباب الثاني عشر

(في ذكر مسافة ما بين الباب والباب)

عن عاصم بن لقيط، أن لقيط بن عامر خرج وافدًا إلىٰ الرسول اللَّه ﷺ قال: قلت يا رسول اللَّه فما الجنة والنار؟ قال: «**لعمر إلٰهك؛ إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عامًا، وإن للجنة ثمانية أبواب، ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عامًا**»[1].

وهذا الظاهر منه: أن هذه المسافة بين الباب والباب؛ لأن ما بين مكة وبصرىٰ لا يحتمل التقدير بسبعين عامًا، ولا يمكن حمله علىٰ باب معين؛ لقوله: «**ما منهن بابان**».

(١) رواه الطبراني. وذكر المصنف عن ابن منده تلقيه بالتسليم. وقد استنكره ابن حجر وابن كثير وابن الملقن.

الباب الثالث عشر

(في مكان الجنة وأين هي؟)

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم]، وقد ثبت أن سدرة المنتهىٰ فوق السماء، وسميت بذلك لأنه ينتهي إليها ما ينزل من عند اللَّه فيقبض منها، وما يصعد إليه فيقبض منها.

وقال تعالىٰ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات].

عن مجاهد: هو الجنة.

وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**إن في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعدها اللَّه للمجاهدين في سبيله**»(١).

والجنة مقببة أعلاها أوسعها، ووسطها هو الفردوس، وسقفه العرش، كما قال ﷺ: «**إذا سألتم اللَّه فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلىٰ الجنة، فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»(٢).

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه البخاري.

الباب الرابع عشر

(في مفتاح الجنة)

عن معاذ قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «**مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا اللَّه**»(١).

وعن وهب بن منبه أنه قيل له: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا اللَّه؟ قال: بلىٰ، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح.

وفي حديث معاذ بن جبل قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ألا أدلك علىٰ باب من أبواب الجنة؟**» قلت: بلىٰ، قال: «**لا حول ولا قوة إلا باللَّه**»(٢).

وقد جعل اللَّه سبحانه لكل مطلوب مفتاحًا يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة: الطهور، ومفتاح الحج: الإحرام، ومفتاح البر: الصدق، ومفتاح الجنة: التوحيد، ومفتاح العلم: حسن السؤال، وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر: الصبر، ومفتاح المزيد: الشكر، ومفتاح الولاية: المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح: التقوىٰ، ومفتاح التوفيق: الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة: الدعاء، ومفتاح الرغبة

---

(١) رواه الطبراني. وذكره ابن عدي في «الكامل».
(٢) رواه أحمد.

في الآخرة: الزهد في الدنيا، ومفتاح الإيمان: التفكر فيما دعا اللَّه عباده إلىٰ التفكر فيه، ومفتاح الدخول علىٰ اللَّه: إسلام القلب وسلامته له، والإخلاص له في الحب والبغض، والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب: تدبر القرآن والتضرع بالأسحار، وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة: الإحسان في عبادة الخالق، والسعي في نفع عبيده، ومفتاح الرزق: السعي مع الاستغفار والتقوىٰ، ومفتاح العز: طاعة اللَّه ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة: قصر الأمل، ومفتاح كل خير: الرغبة في اللَّه والدار الآخرة، ومفتاح كل شر: حب الدنيا وطول الأمل.

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم، وهو معرفة مفاتيح الخير والشر، لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه، فإن اللَّه ﷻ جعل لكل خير وشر مفتاحًا، وبابًا يدخل منه إليه، كما جعل الشرك والكبر، والأعراض عما بعث اللَّه به رسوله، والغفلة عن ذكره، والقيام بحقه؛ مفتاحًا للنار، وكما جعل الخمر: مفتاح كل إثم، وجعل الغناء: مفتاح الزنا، وجعل إطلاق النظر في الصور: مفتاح الطلب والعشق، وجعل الكسل والراحة: مفتاح الخيبة والحرمان، وجعل المعاصي: مفتاح الكفر، وجعل الكذب: مفتاح النفاق، وجعل الشح والحرص: مفتاح البخل، وقطيعة الرحم، وأخذ المال من غير حله،

وجعل الإعراض عما جاء به الرسول ﷺ: مفتاح كل بدعة وضلالة.

وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة، وعقل يعرف به ما في نفسه.

الباب الخامس عشر

(في توقيع الجنة ومنشورها الذي يوقَّع به لأصحابها بعد الموت وعند دخولها)

قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المطففين].

فأخبر تعالىٰ: أن كتابهم كتابٌ مرقوم، تحقيقا لكونه مكتوبًا كتابةً حقيقية، وخص تعالىٰ كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به، بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار تنويها بكتاب الأبرار، وما وقع لهم به، وإشهارًا له، وإظهارًا بين خواص خلقه، كما تكتب الملوك تواقيع من تعظمه بين الأمراء، وخواص أهل المملكة تنويها باسم المكتوب له، وإشادة بذكره، وهذا نوع من صلاة اللَّه ﷻ وملائكته علىٰ عبده.

عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ إلىٰ جنازة فجلس رسول اللَّه ﷺ علىٰ القبر وجلسنا حوله كأن علىٰ رؤوسنا الطير، وهو يلحد له، فقال: «**أعوذ باللَّه من عذاب القبر ثلاث مرات، ثم قال: إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة، وانقطاع من الدنيا؛ تنزلت إليه الملائكة كأن علىٰ وجوههم الشمس، مع كل واحد منهم كفن وحنوط،**

فجلسوا منه مد بصره، ثم يجئ ملك الموت حتىٰ يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلىٰ مغفرة من اللَّه ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتىٰ يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت علىٰ وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون بها ـ يعني علىٰ ملأ من الملائكة ـ إلا قالوا ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان. بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتىٰ ينتهوا بها إلىٰ السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح لهم، ويشيعه من كل سماء مقربوها إلىٰ السماء التي تليها، حتىٰ ينتهي بها إلىٰ السماء التي فيها اللَّه ﷻ فيقول اللَّه ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلىٰ الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرىٰ، قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول ربي اللَّه، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول اللَّه، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول قرأت كتاب اللَّه فآمنت به وصدقت، قال: فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنة، قال:

فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة حتىٰ أرجع إلىٰ أهلي ومالي»[1].

(١) رواه أحمد.

الباب السادس عشر

(في توحُّدِ طريق الجنة، وأنه ليس لها إلا طريقٌ واحد)

هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلىٰ خاتمهم ـ صلوات اللَّه وسلامه عليهم ـ وأما طرق الجحيم: فأكثر من أن تحصىٰ، ولهذا يوحد سبحانه سبيله، ويجمع سبل النار، كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ۝١٥٣﴾ [الأنعام].

قال ابن مسعود: خط لنا رسول اللَّه خطًّا، وقال: «هذا سبيل اللَّه»، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن يساره، ثم قال: «هذه سبل، وعلىٰ كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ۝١٥٣﴾ [الأنعام]»[1].

(١) رواه أحمد وابن حبان.

الباب السابع عشر

(في درجاتِ الجنة)

قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء].

عن ابن محيريز قال: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾. قال: هي سبعون درجةً ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين عاما.

وعن الضحاك في قوله تعالىٰ: ﴿لَهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾. قال: بعضهم أفضل من بعض، فيرىٰ الذي قد فضل به فضله، ولا يرىٰ الذي هو أسفل منه، أنه فُضِّل عليه أحد من الناس.

وتأمل قوله: كيف أوقع التفضيل أولًا بدرجة، ثم أوقعه ثانيًا بدرجات، فقيل: الأول بين القاعد المعذور والمجاهد، والثاني بين القاعد بلا عذر والمجاهد.

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران].

عن أبي سعيد الخدري أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**»، قالوا يا رسول اللَّه، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «**بلىٰ والذي نفسي بيده؛ رجالٌ آمنوا باللَّه وصدقوا المرسلين**»[(١)].

والغابر: هو الذاهب الماضي الذي قد تدلىٰ للغروب. وفي التمثيل به دون الكوكب المسامت للرأس وهو أعلىٰ؛ فائدتان: أحدهما: بعده عن العيون. والثانية: أن الجنة درجات بعضها أعلىٰ من بعض، وإن لم تسامت العليا السفلىٰ، كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلىٰ ذيله.

والنبي ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة، حتىٰ يقرأ آخر شيء معه**»[(٢)]. وهذا صريح في أن درج الجنة تزيد علىٰ مائة درجة.

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه أحمد.

الباب الثامن عشر

(في ذكر أعلى درجاتها، واسم تلك الدرجة)

عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلىٰ علي صلاة واحدة صلىٰ اللَّه عليه عشرًا، ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد اللَّه، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة**»(١).

وسميت درجة النبي ﷺ الوسيلة لأنها أقرب الدرجات إلىٰ عرش الرب ﷻ وهي أقرب الدرجات إلىٰ اللَّه.

وأصل اشتقاق لفظ: «الوسيلة» من القرب.

ومعني الوسيلة: من الوصلة.

قال فضيل بن عياض: أتدرون لم حسنت الجنة؟ لأن عرش رب العالمين سقفها.

والقربىٰ والزلفىٰ: واحد، وإن كان في الوسيلة معنىٰ التقرب إليه بأنواع الوسائل.

وقد كشف سبحانه عن هذا المعنىٰ كل الكشف بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

---

(١) رواه مسلم.

فقوله: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾، هو تفسير للوسيلة التي يبتغيها هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون اللَّه، فيتنافسون في القرب منه.

ولما كان رسول اللَّه ﷺ أعظم الخلق عبودية لربه وأعلمهم به، وأشدهم له خشية، وأعظمهم له محبة؛ كانت منزلته أقرب المنازل إلىٰ اللَّه، وهي أعلىٰ درجة في الجنة، وأمر النبي ﷺ أمته أن يسألوها له؛ لينالوا بهذا الدعاء الزلفىٰ من اللَّه، وزيادة الإيمان.

وأيضا فإن اللَّه سبحانه قدرها له بأسباب، منها: دعاء أمته له بها بما نالوه علىٰ يده من الإيمان والهدىٰ، صلوات اللَّه وسلامه عليه.

الباب التاسع عشر

(في عرض الرب تعالى سلعته ـ الجنة ـ على عباده، وثمنها الذي طلبه منهم، وعقد التبايع الذي وقع بين المؤمنين وبين ربهم)

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة].

فجعل سبحانه الجنة ثمنا لنفوس المؤمنين وأموالهم، بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن، وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد:

أحدها: إخباره ﷻ بصيغة الخبر المؤكد بأداة: إنَّ.

الثاني: الإخبار بذلك بصيغة الفعل الماضي الذي قد وقع وثبت واستقر.

الثالث: إضافة هذا العقد إلىٰ نفسه سبحانه، وأنه هو الذي اشترىٰ هذا المبيع.

الرابع: أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعدًا لا يخلفه ولا يتركه.

الخامس: أنه أتىٰ بصيغة «علىٰ» التي للوجوب، إعلامًا لعباده بأن ذلك حق عليه، أحقه هو علىٰ نفسه.

السادس: أنه أكد ذلك بكونه حقًّا عليه.

وقوله: ﴿بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ أي: عاوضتم وثامنتم به.

ثم ذكر سبحانه أهل هذا العقد الذين وقع العقد وتم لهم دون غيرهم، وهم:

- ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ مما يكره.
- ﴿ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾ له بما يحب.
- ﴿ٱلْحَـٰمِدُونَ﴾ له علىٰ ما يحبون وما يكرهون.
- ﴿ٱلسَّـٰٓئِحُونَ﴾ وفسرت السياحة: بالصيام، وفسرت: بالسفر في طلب العلم، وفسرت بالجهاد، وفسرت بدوام الطاعة. والتحقيق فيها: أنها سياحة القلب في ذكر اللَّه ومحبته، والإنابة إليه والشوق إلىٰ لقائه.

وتأمل كيف جعل اللَّه سبحانه «التوبة» و«العبادة» قرينتين: هذه ترك ما يكره، وهذه فعل ما يحب. و«الحمد» و«السياحة» قرينتين: هذا الثناء عليه بأوصاف كماله، وسياحة اللسان في أفضل ذكره، وهذا سياحة القلب في حبه وذكره وإجلاله.

كما جعل سبحانه العبادة والسياحة قرينتين في صفة الأزواج: فهذه عبادة البدن، وهذه عبادة القلب.

وجعل الإسلام والإيمان قرينتين: فهذا علانية، وهذا في القلب.

وجعل القنوت والتوبة قرينتين: هذا فعل ما يحب، وهذا ترك ما يكره.

وجعل الثيوبة والبكارة قرينتين، فهذه قد وطئت وارتاضت وذللت صعوبها، وهذه روضة أُنُف[1] لم يرتع فيها بعد.

وجعل الركوع والسجود قرينتين، وجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قرينتين، وأدخل بينهما (الواو) دون ما تقدم؛ إعلامًا بأن أحدهما لا يكفي حتىٰ يكون مع الآخر، وجعل ذلك قرينًا لحفظ حدوده.

وأفهمت الآية: خطر النفس الإنسانية وشرفها، وعظم مقدارها، فإن السلعة إذا خفي عليك قدرها، فانظر إلىٰ المشتري لها من هو، وانظر إلىٰ الثمن المبذول فيها ما هو؟ وانظر إلىٰ ما جرىٰ علىٰ يده عقد التبايع، فالسلعة: النفس، واللَّه سبحانه: المشتري لها، والثمن: جنات النعيم، والسفير في هذا العقد: خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه، وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه.

---

(١) أي: لم يرعها أحد.

قد هيؤوكَ لأمرٍ لو فطنت له

فاربأ بنفسك أن ترعىٰ مع الهمل

وفي الصحيحين: من حديث أبي هريرة أن أعرابيًّا جاء إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول دلني علىٰ عمل إذا عملته دخلت الجنة، فقال: «**تعبد اللَّه ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**». قال: والذي نفسي بيده لا أزيد علىٰ هذا شيئا أبدا ولا أنقص منه، فلما ولىٰ قال: «**من سره أن ينظر إلىٰ رجل من أهل الجنة فلينظر إلىٰ هذا**».

وعن عثمان قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا اللَّه دخل الجنة**»[1]. وعن أبي ذر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أتاني آت من ربي فأخبرني - أو قال - فبشرني: أنه من مات من أمتك لا يشرك باللَّه شيئا دخل الجنة، قلت: وإن زنىٰ وإن سرق؟ قال: وإن زنىٰ وإن سرق**»[2].

ومن حديث عبادة: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من قال أشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسىٰ عبد اللَّه ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله اللَّه**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»[١]. وفي لفظ: «**أدخله اللَّه الجنة علىٰ ما كان من عمل**»[٢].

وفي «**صحيح مسلم**» أن رسول اللَّه ﷺ أعطىٰ أبا هريرة نعليه فقال: «**اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط؛ يشهد أن لا إله إلا اللَّه مستيقنًا بها قلبه، فبشره بالجنة**».

(فصل)

وهاهنا أمر يجب التنبيه عليه وهو: أن الجنة إنما تدخل برحمة اللَّه تعالىٰ، وليس عمل العبد مستقلًا بدخولها، وإن كان سببًا، ولهذا أثبت اللَّه تعالىٰ دخولها بالأعمال في قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ونفىٰ رسول اللَّه دخولها بالأعمال بقوله: «**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله**»[٣].

ولا تنافي بين الأمرين لوجهين:

أحدهما: ما ذكره سفيان وغيره، قال: كانوا يقولون: النجاة من النار بعفو اللَّه، ودخول الجنة برحمته، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري في التاريخ.

والثاني: أن (الباء) التي نفت الدخول هي (باء) المعاوضة، التي يكون فيها أحد العوضين مقابلًا للآخر، و(الباء) التي أثبتت الدخول هي (باء) السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره، وإن لم يكن مستقلًا بحصوله، وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين بقوله: «**سددوا وقاربوا وأبشروا، واعلموا أن أحدًا منكم لن ينجو بعمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول اللَّه؟ قال: «**ولا أنا؛ إلا أن يتغمدني اللَّه برحمته**»[1].

ومن عرف اللَّه سبحانه، وشهد مشهد حقه عليه، ومشهد تقصيره وذنوبه، وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به.

(١) رواه مسلم.

الباب العشرون

(في طلب أهل الجنة لها من ربِّهم، وطلبها لهم، وشفاعتها فيهم إلى ربِّهم ﷻ)

قال اللَّه تعالىٰ حكاية عن أولي الألباب من عباده قولهم: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران].

والمعنىٰ: وآتنا ما وعدتنا علىٰ ألسنة رسلك من دخول الجنة.

وتأمل: كيف تضمن إيمانهم به؛ الإيمان بأمره ونهيه ورسله، ووعده ووعيده، وأسمائه وصفاته وأفعاله، وصدق وعده، والخوف من وعيده واستجابتهم لأمره، فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم تعالىٰ، فبذلك صح لهم التوسل إلىٰ سؤال ما وعدهم به، والنجاة من عذابه.

وقد أشكل علىٰ بعض الناس سؤالهم أن ينجز لهم ما وعده، مع أنه فاعل لذلك ولا بد.

وأجاب: بأن هذا تعبد محض، كقوله: ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء:١١٢].

وخفي علىٰ هؤلاء أن الوعد معلق بشروط منها:

- الرغبة إليه ﷻ وسؤاله أن ينجزه لهم.
- كما أنه معلق بالإيمان وموافاتهم به.
- وأن لا يلحقه ما يحبطه.

وإن أشكل عليك ذلك فانظر إلىٰ خلقه الأسباب التي توجب محبته وغضبه، فهو يحب ويرضىٰ، ويغضب ويسخط عن الأسباب التي خلقها وشاءها، فالكل منه وبه، فهو مبتدئٌ من مشيئته، وعائدٌ إلىٰ حكمته وحمده.

وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد لا يلجه إلا العالمون باللَّه.

ونظير هذه الآية في سؤاله ما وعد به؛ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ [الفرقان]، يسأله إياه عباده المؤمنون، ويسأله إياه ملائكته لهم، فالجنة تسأل ربها أهلها، وأهلها يسألونه إياها، والملائكة تسألها لهم، والرسل يسألونه إياها لهم ولأتباعهم، ويوم القيامة يقيمهم سبحانه بين يديه، يشفعون فيها لعباده المؤمنين، وفي هذا من تمام ملكه، وإظهار رحمته وإحسانه، وجوده وكرمه وأعطائه ما سُئل؛ ما هو من لوازم أسمائه وصفاته، فالرب تعالىٰ جواد، له الجود كله، يحب أن يسئل ويطلب منه ويرغب إليه، فخلق من

يسأله وألهمه سؤاله، وخلق له ما يسأله إياه، فهو خالق السائل وسؤاله ومسئوله، وذلك لمحبته لسؤال عباده له، ورغبتهم إليه، وطلبهم منه، وهو يغضب إذا لم يسأل[١].

وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالا، وهو يحب الملحين في الدعاء، وكلما ألح العبد عليه في السؤال أحبه وأعطاه.

عن أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما من مسلم يسأل اللَّه الجنة ثلاثًا إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار باللَّه ثلاثًا قالت النار: اللهم أجره من النار**»[٢].

وقد كان جماعة من السلف لا يسألون اللَّه الجنة، ويقولون: حسبنا أن يجيرنا من النار.

(١) جاء في نسخةٍ على حاشية (د):

لا تَسألَن بُنيَّ آدمَ حاجةً وسل الذي أبوابه لا تُحجَبُ
اللَّه يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يَغضَبُ

(٢) رواه أحمد.

الباب الحادي والعشرون

(في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقها)

ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها، ومسماها واحد باعتبار الذات.

الاسم الأول: الجنة: وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار.

وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية، ومنه الجنين: لاستتاره في البطن، والجان: لاستتاره عن العيون، والمجنون: لاستتار عقله. ومنه سمي البستان جنة؛ لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه، والجُنَّة: ما يستجن به من ترس أو غيره. ومنه قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾ [المجادلة: ١٦]. ومنه الجِنة: وهو الجن، كما قال تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٦].

(فصل)

الاسم الثاني: دار السلام: وقد سماها اللَّه بهذا الاسم في قوله: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه، وهي دار اللَّه، واسمه ﷻ (السلام) الذي سلمها وسلم أهلها: ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞ﴾ [يونس: ١٠]. والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس: ٥٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ [الواقعة]. معنىٰ الآية: فسلام لك أيها الراحل عن الدنيا، حال كونك من أصحاب اليمين، أي: فسلامه لك كائنًا من أصحاب اليمين، الذين سلموا من الدنيا وأنكادها، ومن النار وعذابها، فبشر بالسلامة عند ارتحاله من الدنيا، وقدومه علىٰ اللَّه تعالىٰ.

(فصل)

الاسم الثالث: دار الخلد. وسميت بذلك لأن أهلها لا يظعنون عنها أبدًا، كما قال تعالىٰ: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]. وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص].

(فصل)

الاسم الرابع: دار المقامة. قال تعالىٰ حكاية عن أهلها: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر].

قال مقاتل: أنزلنا دار الخلود، أقاموا فيها أبدًا، لا يموتون ولا يتحولون منها أبدًا.

(فصل)

الاسم الخامس: جنة المأوىٰ. قال تعالىٰ: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٥]. والمأوىٰ: إذا انضم إلىٰ المكان، وصار إليه واستقر به. عن ابن عباس: هي الجنة التي يأوي إليها جبريل والملائكة.

(فصل)

الاسم السادس: جنات عدن: اسم لجملة الجنات، فكلها جنات عدن، قال تعالىٰ: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [مريم: ٦١]. والاشتقاق يدل علىٰ أن جميعها جنات عدن، فإنه من الإقامة والدوام. يقال: عدن بالمكان: إذا أقام به.

(فصل)

الاسم السابع: دار الحيوان. قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. دار الحياة التي لا موت فيها.

(فصل)

الاسم الثامن: الفردوس. قال تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١]. والفردوس: اسم يقال علىٰ جميع الجنة، ويقال علىٰ أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات. وأصل الفردوس: البستان.

(فصل)

الاسم التاسع: جنات النعيم. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [لقمان]، وهي اسم جامع لجميع الجنات؛ لما تضمنته من الأنواع التي يتنعم بها: من المأكول والمشروب، والملبوس والصور، والرائحة الطيبة، والمنظر البهيج، والمساكن الواسعة.

(فصل)

الاسم العاشر: المقام الأمين. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١].

فالمقام: موضع الإقامة، والأمين: الآمن من كل سوء ومكروه، وهو الذي قد جمع صفات الأمن كلها، فهو آمن من الزوال والخراب.

وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾، وفي قوله تعالىٰ: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥]. فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام.

(فصل)

(الاسم الحادي عشر والثاني عشر: مقعد الصدق، وقَدَم الصدق): قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥]، فسمىٰ الجنة مقعد صدق؛ لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها، كما يقال: مودة صادقة: إذا كانت ثابتة تامة، وحلاوة صادقة، وجملة صادقة، ومنه الكلام الصدق، لحصول مقصوده منه.

وموضع هذه اللفظة في كلامهم: الصحة والكمال، ومنه الصدق في الحديث، والصدق في العمل، والصديق الذي يصدق قوله بالعمل.

وهذا مصداق هذا: أي ما يصدقه، ومنه الصداقة؛ لصفاء المودة والمخالة، ومنه قدم الصدق، وفسر قدم الصدق: بالجنة، وفسر بالأعمال التي تنال بها الجنة، والتحقيق: أن الجميع حق.

الباب الثاني والعشرون

(في عدد الجنات، وأنها نوعان: جنتان من ذهب، وجنتان من فضة)

«الجنة»: اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين، والمساكن والقصور، وهي جنات كثيرة جدًّا، وفي الصحيحين عن أنس: أن أم الربيع بنت البراء ـ وهي أم حارثة بن سراقة ـ أتت رسول اللَّه ﷺ فقالت: يا نبي اللَّه ألا تحدثني عن حارثة؟ ـ وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غَرْب[1] ـ، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء قال: «**يا أم حارثة، أنها جنان في الجنة، وإن أبنك أصاب الفردوس الأعلىٰ**».

وفي الصحيحين: «**جنتان من ذهب؛ آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وجنتان من فضة؛ آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلىٰ ربهم إلا رداء الكبرياء علىٰ وجهه في جنة عدن**».

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]؛ فذكرهما ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢].

---

(١) أي: لا يعرف راميه.

والسياق يدل علىٰ تفضيل الجنتين الأوليين من عشرة أوجه:

أحدها: قوله: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾، وفيه قولان: أحدهما: أنه جمع فنن، وهو الغصن. والثاني: أنه جمع فنّ، وهو الصنف. أي: ذواتا أصناف شتىٰ من الفواكه وغيرها، ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما.

الثاني: قوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠]، وفي الآخريين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾، والنضاخة: هي الفوارة، والجارية: السارحة، وهي أحسن من الفوارة؛ فإنها تتضمن الفوران والجريان.

الثالث: أنه قال: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾، وفي الآخريين: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾، ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل.

واختلف في هذين الزوجين بعد الاتفاق علىٰ أنهما صنفان. والظاهر واللَّه أعلم: أنه الحلو والحامض، والأبيض والأحمر؛ وذلك لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهىٰ، وألذ للعين والفم.

الرابع: أنه قال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾، وهذا تنبيهٌ علىٰ فضل الظهائر وخطرها، وفي الآخرتين قال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾، وفُسر الرفرف: بالمحابس والبسط، وفسر: بالفرش، وفسر: بالمحابس فوقها.

الخامس: أنه قال: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ أي: قريب سهل يتناولونه كيف شاؤوا.

السادس: أنه قال: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أي: قد قصرن طرفهن علىٰ أزواجهن فلا يردن غيرهم؛ لرضاهن بهم، وتحببهن لهم، وذلك يتضمن قصرهن لطرف أزواجهن عليهن، فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلىٰ غيرهن، وقال في الآخرتين: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾. ومن قصرت طرفها علىٰ زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها.

السابع: أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون وإشراقه وحسنه.

الثامن: أنه سبحانه قال في الجنتين الأولتين: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل.

التاسع: أنه بدأ بوصف الجنتين الأوَّلتين، وجعلهما جزاءً لمن خاف مقامه، وهذا يدل علىٰ أنهما أعلىٰ جزاء الخائف لمقامه، فرتب الجزاء المذكور علىٰ الخوف ترتيب المسبَّب علىٰ سببه.

العاشر: أنه قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ والسياق يدل علىٰ أنه نقيض فوق.

الباب الثالث والعشرون

(في خلق الرب ﷻ بعض الجنان، وغرسها بيده تفضيلًا لها على سائر الجنان)

اتخذ الرب تعالىٰ من الجنان دارًا اصطفاها لنفسه، وخصها بالقرب من عرشه، وغرسها بيده، فهي سيدة الجنان، واللَّه ﷻ يختار من كل نوع أعلاه وأفضله، كما اختار من الملائكة: جبريل، ومن البشر: محمدًا ﷺ، ومن السماوات: العليا، ومن البلاد: مكة، ومن الأشهر: الأشهر الحرم، ومن الليالي: ليلة القدر، ومن الأيام: يوم الجمعة، ومن الليل: وسطه، ومن الأوقات: أوقات الصلوات.

قال عبد اللَّه بن عمر: «خلق اللَّه أربعة أشياء بيده: العرش، والقلم، وعدن، وآدم، ثم قال لسائر الخلق كن فكان».

وعن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: «**سأل موسىٰ عليه السلام ربه: ما أدنىٰ أهل الجنة منزلة؟ قال: رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: أدخل الجنة، فيقول: رب كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟! فيقال له: أترضىٰ أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول له: لك ذلك، ومثله، ومثله، ومثله، ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب. قال: رب. فأعلاهم**

منزلة، قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ومصداقه من كتاب اللَّه: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة]»[1].

(١) رواه مسلم.

الباب الرابع والعشرون

(في ذكر أبواب الجنة، وخزنتها، واسم مقدَّمهم ورئيسهم)

قال تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

والخزنة جمع خازن: وهو المؤتمن علىٰ الشيء الذي قد استحفظه.

عن أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمدٌ. فيقول: بك أمرت؛ أن لا أفتح لأحد قبلك**»(١).

وقد سمىٰ اللَّه ﷻ كبير هذه الخزنة: (رضوان)(٢)، وهو اسم مشتق من الرضا، وسمىٰ خازن النار: مالكًا، وهو اسم مشتق من الملك، وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه.

(١) رواه مسلم.

(٢) جاء ذلك في حديث ضعيف جدًا. ولا يصح في الباب شيء.

الباب الخامس والعشرون

(في ذكر أول من يقرعُ باب الجنة)

روىٰ أبو هريرة عنه ﷺ قال: «**أنا أول من يفتح باب الجنة، إلا أن أمرأة تبادرني، فأقول لها مالك، أو ما أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدتُ علىٰ يتاماي**»(١).

وعن أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أنا أكثر الناس تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة**»(٢).

(١) رواه أبو يعلىٰ وضعفه البوصيري، وحسنه المنذري وابن حجر.

(٢) رواه مسلم.

الباب السادس والعشرون

(في ذكر أول الأمم دخولًا الجنة)

عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**نحن السابقون الأولون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم**»[١]. أي: لم يسبقونا إلا بهذا القدر، فمعنىٰ (بَيْدَ): معنىٰ (سوىٰ).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة**»[٢].

فهذه الأمة أسبق الأمم خروجًا من الأرض، وأسبقهم إلىٰ أعلىٰ مكان في الموقف، وأسبقهم إلىٰ ظل العرش، وأسبقهم إلىٰ الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلىٰ الجواز علىٰ الصراط، وأسبقهم إلىٰ دخول الجنة، فالجنة محرمة علىٰ الأنبياء حتىٰ يدخلها محمد ﷺ، ومحرمة علىٰ الأمم حتىٰ تدخلها أمته.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

الباب السابع والعشرون

(في ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة، وصفتهم)

عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم علىٰ صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يتمخطون فيها، ولا يتغوطون فيها، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم الأُلُوة[١]، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرىٰ مخ سوقهما من وراء اللحم من الحُسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم علىٰ قلب رجل واحد، يسبحون اللَّه بكرة وعشيًّا»[٢].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «عرض علي أول ثلاثة من أمتي يدخلون الجنة، وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة: فالشهيد، وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه، وفقير متعفف ذو عيال، وأول ثلاثة يدخلون النار: فأمير مسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق اللَّه من ماله، وفقير فخور»[٣].

---

(١) هو العود الذي يتبخر به.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه أحمد والترمذي وحسنه، وصححه ابن خزيمة وابن حبان.

الباب الثامن والعشرون

(في سبق الفقراءِ الأغنياءَ إلى الجنة)

عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمس مئة عام**»(١).

وعن عبد اللَّه بن عمرو قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفًا**»(٢).

فإما أن يكون هو(٣) المحفوظ، وإما أن يكون كلاهما محفوظان، وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بأربعين، ومنهم من يسبق بخمس مئة، كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب جرائمهم.

ولكن ها هنا أمر يجب التنبيه عليه: وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلىٰ منزلة. والدليل علىٰ هذا: أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب، وهم السبعون ألفا، وقد

---

(١) رواه أحمد. وصححه الترمذي.
(٢) رواه مسلم.
(٣) أي: ما في الصحيح.

يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغني إذا حوسب علىٰ غناه، فوجد قد شكر اللَّه تعالىٰ فيه، وتقرب إليه بأنواع البر والخير، والصدقة والمعروف؛ كان أعلىٰ درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول.

فالمزية مزيتان؛ مزية سبق، ومزية رفعة، وقد يجتمعان وينفردان، فيحصل لواحد السبق والرفعة، ويعدمهما آخر، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة، ولآخر الرفعة دون السبق، وهذا بحسب المقتضىٰ للأمرين، أو لأحدهما وعدمه.

الباب التاسع والعشرون

(في ذكر أصناف أهل الجنة الذين ضُمنت لهم دون غيرهم)

قال تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران].

فذكر بذلهم للإحسان في حالة العسر واليسر، والشدة والرخاء، فإن من الناس من يبذل في حال اليسر والرخاء، ولا يبذل في حال العسر والشدة، ثم ذكر كف أذاهم للناس بحبس الغيظ بالكظم، وحبس الانتقام بالعفو، ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم في ذنوبهم، وأنها إذا صدرت منهم قابلوها بذكر اللَّه، والتوبة والاستغفار، وترك الإصرار، فهذا حالهم مع اللَّه، وذاك حالهم مع خلقه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال].

وعن عِياض بن حِمار المجاشعي أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربىٰ ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال»**(١).

وعن حارثة بن وهب قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم علىٰ اللَّه لأبره»**(٢).

وعن أنس قال: مُرَّ بجنازة فأُثني عليها خيرٌ. فقال نبي اللَّه ﷺ: «**وجبت، وجبت، وجبت**». ومر بجنازة فأُثني عليها شرٌ، فقال نبي اللَّه ﷺ: «**وجبت، وجبت، وجبت**». فقال عمر: فداك أبي وأمي، مر بجنازة فأثني عليها خير، فقلت: وجبت، وجبت، وجبت، ومر بجنازة فأثني عليها شر، فقلت: وجبت، وجبت، وجبت؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: **«من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النار، أنتم شهداء اللَّه في الأرض، أنتم شهداء**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

اللَّه في الأرض»[1]

وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف ذكرهم اللَّه ﷻ في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء].

(١) رواه البخاري ومسلم.

الباب الثلاثون

(في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ)

عن عبد اللَّه بن مسعود قال: قال لنا رسول اللَّه ﷺ: «**أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟**» فكبرنا ثم قال: «**أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟**» فكبرنا، ثم قال: «**إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك: ما المسلمون في الكفار إلَّا كشعرة بيضاء في ثور أسود، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض**»(١).

وعن بريدة بن الحصيب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أهل الجنة عشرون ومائة صفٍ، هذه الأمة منها ثمانون صفا**»(٢). وهذه الأحاديث(٣) قد تعددت طرقها، واختلفت مخارجها، وصح سند بعضها، ولا تنافي بينها وبين حديث الشطر؛ لأنه رجا أولا أن يكونوا شطر أهل الجنة، فأعطاه اللَّه سبحانه رجاءه، وزاد عليه شيئًا آخر.

---

(١) رواه البخاري ومسلم، وهذا اللفظ لمسلم.
(٢) رواه أحمد. وحسنه الترمذي، وقد روي مرسلًا.
(٣) كحديث بريدة مما فيه الزيادة على الشطر.

الباب الحادي والثلاثون

(في أن النساء في الجنة أكثر من الرجال، وكذلك هم في النار)

عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «**إن أول زمرة تدخل الجنة علىٰ صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها علىٰ أضوإِ كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرىٰ مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة عزبٌ**»[1].

فإن كن من نساء الدنيا فالنساء في الدنيا أكثر من الرجال، وإن كن من الحور العين لم يلزم أن يكن في الدنيا أكثر، والظاهر أنهن من الحور العين؛ لما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**للرجال من أهل الجنة زوجتان من الحور العين، علىٰ كل واحدة سبعون حلة، يرىٰ مخ ساقها من وراء الثياب**».

فإن قيل: فكيف تجمعون بين هذا الحديث وبين حديث جابر المتفق عليه: شهدت مع رسول اللَّه ﷺ العيد، فصلىٰ قبل أن يخطب بغير أذان ولا إقامة، ثم خطب بعد ما صلىٰ، فوعظ الناس وذكرهم، ثم أتىٰ النساء فوعظهن ومعه بلال فذكرهن وأمرهن بالصدقة، قال فجعلت المرأة

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

تلقىٰ خاتمها وخرصها والشيء كذلك، فأمر النبي ﷺ بلالا فجمع ما هناك، ثم قال: «**إن منكن في الجنة ليسير**». فقالت امرأة: يا رسول اللَّه؛ لم؟ قال: «**إنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير**»(١).

وفي الحديث الآخر: «**إن أقل ساكني الجنة النساء**»(٢).

قيل: هذا يدل علىٰ أنهن إنما كن في الجنة أكثر بالحور العين اللاتي خلقن في الجنة، وأقل ساكنيها نساء الدنيا، فنساء الدنيا أقل أهل الجنة، وأكثر أهل النار.

أما كونهن أكثر أهل النار، فلما روىٰ عمران بن حصين قال: بلغني أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء، واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء**»(٣).

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري.

الباب الثاني والثلاثون

(فيمن يدخل الجنة في هذه الأمة بغير حساب وذكر أوصافهم)

عن أبي هريرة قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يدخل الجنة من أمتي زمرة: هم سبعون ألفًا، تضيء وجوههم أضاءة القمر ليلة البدر**»(١).

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفًا، أو سبع مئة ألف، آخذ بعضهم ببعض حتىٰ يدخل أولهم وآخرهم الجنة، وجوههم علىٰ صورة القمر ليلة البدر**». فهذه هي الزمرة الأولىٰ وهم يدخلونها بغير حساب.

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسىٰ وقومه، ولكن انظر إلىٰ الأفق، فنظرت، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلىٰ الأفق الآخر. فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**»، فخاض الناس في أولئك

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فخرج عليهم رسول اللَّه فقال: «**ما الذي تخوضون فيه؟**» فأخبروه، فقال: «**هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون، وعلىٰ ربهم يتوكلون**»[1]. وليس عند البخاري: «**ولا يرقون**».

قال شيخنا: وهو الصواب، فإن النبي ﷺ جعل الوصف الذي يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب هو تحقيق التوحيد وتجريده، فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم، ولا يتطيرون ـ والطيرة: نوع من الشرك ـ ويتوكلون علىٰ اللَّه وحده لا علىٰ غيره، وتركهم الاسترقاء والتطير هو من تمام التوكل علىٰ اللَّه. وأما رقية الغير فهي إحسان من الراقي.

(١) رواه البخاري ومسلم.

الباب الثالث والثلاثون

(في ذكر حثيات الرب ﷻ الذين يدخلهم الجنة)

عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ: **«وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا، مع كل ألفٍ سبعون ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، وثلاث حثيات من حثيات ربي»**[(١)].

وقال رسول اللَّه ﷺ: **«إن اللَّه وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بغير حساب»**، قال يزيد بن الأخنس: واللَّه ما أولئك في أمتك يا رسول اللَّه إلا مثل الزباب الأصهب في الذبان!. قال رسول اللَّه ﷺ: **«فإن اللَّه وعدني سبعين ألفًا، مع كل ألف سبعين ألفًا، وزادني ثلاث حثياتٍ»**[(٢)].

وأصحاب هذه الحثيات هم الذين وقعوا في قبضته الأولىٰ سبحانه يوم القبضتين[(٣)].

---

(١) رواه أحمد والترمذي وحسنه، وجوَّده ابن كثير.

(٢) رواه أحمد، وحسنه ابن كثير، وصحح سنده ابن حجر.

(٣) لعله يشير إلىٰ أن النبي ﷺ يقول: «إن اللَّه قبض بيمينه قبضة، وأخرىٰ باليد الأخرىٰ، وقال: هذه لهذه، وهذه لهذه، ولا أبالي». رواه أحمد، وقال العقيلي: روي في القبضتين أحاديث بأسانيد صالحة.

فإن قيل: فكيف كانوا أولًا قبضة واحدة، ثم صاروا ثلاث حثيات مع العدد المذكور؟

قيل: الرب ﷻ أخرج يوم القبضتين صورهم وأشباحهم، وقد روي أنهم كانوا كالذر، وأما يوم الحثيات، فيكونون أتم ما كانوا خِلقه، وأكمل أجسامًا، فناسب أن تتعدد الحثيات بكلتا اليدين.

الباب الرابع والثلاثون

(في ذكر تربة الجنة وطينتها وحصبائها وبنائها)

أبو المدلَّة مولىٰ أم المؤمنين سمع أبا هريرة يقول: قلنا يا رسول اللَّه حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: «**لبنة ذهب، ولبنة فضة، وملاطها[1] المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابهما الزعفران، من يدخلها ينعم لا يَبؤس، ويخلد لا يموت، لا تبلىٰ ثيابه، ولا يفني شبابه، ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتىٰ يفطر، ودعوة المظلوم تحمل علىٰ الغمام، وتفتح لها أبواب السماوات، ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**»[2].

وفي الصحيحين عن أنس قال: قال ﷺ: «**أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**».

وروىٰ مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول اللَّه ﷺ سأل ابن صائد عن تربة الجنة، فقال: دَرمَكَة بيضاء، مسك خالص، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**صدق**».

فهذه ثلاث صفات في تربتها، لا تعارض بينها.

فذهبت طائفة من السلف إلىٰ أن تربتها متضمنة للنوعين: المسك والزعفران.

---

(١) الملاط: الطين بين اللبنتين. يعني: طينها مسك.

(٢) رواه أحمد.

ويحتمل معنيين آخرين:

أحدهما: أن يكون التراب من زعفران، فإذا عجن بالماء صار مسكًا، والطين يسمىٰ ترابًا.

المعنى الثاني: أن يكون زعفرانًا باعتبار اللون، مسكًا بإعتبار الرائحة. وهذا من أحسن شيء يكون البهجة والإشراق في لون الزعفران، والرائحة رائحة المسك، وكذلك تشبيهها بالدرمك، وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلىٰ صفرة مع لينها ونعومتها.

الباب الخامس والثلاثون

(في ذكر نورها وبياضها)

في حديث لقيط بن عامر عن النبي ﷺ قال: «**وتحتبس الشمس والقمر فلا يرون منهما واحدًا**»، قال: قلت: يا رسول اللَّه فبم نبصر؟ قال: «**بمثل بصرك في ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرضِ**[١]**، وواجهته الجبال**»[٢].

(١) كذا وقع في الأصل، ولا معنىٰ له. والصواب كما في المصادر: (أشرقتِ الأرضُ). (ت)

(٢) رواه الطبراني في الكبير. وذكر المصنف عن ابن منده تلقيه بالتسليم. وقد استنكره ابن حجر وابن كثير وابن الملقن.

الباب السادس والثلاثون

(في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها وخيامها)

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر: ٢٠].

فأخبر تعالىٰ أنها غرف فوق غرف، وأنها مبنية بناء حقيقة؛ لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل، وأنه ليس هناك بناء، بل تتصور النفوس غرفا مبنية كالعلالي بعضها فوق بعض، حتىٰ كأنها تنظر إليها عيانًا. ومبنية: أي لهم منازل مرتفعة، وفوقها منازل أرفع منها.

وقال تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الفرقان: ٧٥].

والغرفة جنس كالجنة، وتأمل كيف جعل جزاءهم علىٰ هذه الأقوال المتضمنة للخضوع والذل والاستكانة للَّه؛ الغرفة والتحتية والسلام، في مقابلة صبرهم علىٰ سوء خطاب الجاهلين لهم، فبُدلوا بذلك سلام اللَّه وملائكته عليهم.

وعن عبد اللَّه بن عمرو قال: قال ﷺ: «**إن في الجنة غرفًا يرىٰ ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها**»، قال أبو مالك الأشعري لمن هي يا رسول اللَّه ﷺ قال: «**لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائمًا والناس نيام**»[1].

---

(١) رواه أحمد. وحسنه المنذري والهيثمي.

وفي الصحيحين من حديث أبي موسىٰ عن النبي ﷺ قال: «**إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدةٍ مجوفة، طولها ستون ميلًا، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرىٰ بعضهم بعضًا**».

وفي الصحيحين أن جبريل قال للنبي ﷺ: «**هذه خديجة اقرئها السلام من ربها، وأمره أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب**».

والقصب هنا قصب اللؤلؤ المجوف.

وقال الحسن: قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي، أو صديق، أو شهيد، أو حكم عدل. يرفع بها صوته.

الباب السابع والثلاثون

(في ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة، وإن لم يروها قبل ذلك)

قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [محمد].

قال مجاهد: يهتدي أهلها إلىٰ بيوتهم ومساكنهم، لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا، لا يستدلون عليها أحدًا.

هذا قول جمهور المفسرين.

وقال سلمة بن كهيل: طرقها لهم.

ومعنىٰ هذا: أنه طرقها لهم حتىٰ يهتدوا إليها.

وعن أبي سعيد الخدري أن نبي اللَّه ﷺ قال: **«والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزلة في الجنة أدل منه بمسكنه كان في الدنيا»**(١).

---

(١) رواه البخاري.

الباب الثامن والثلاثون

(في كيفية دخولهم الجنة، وما يُستقبلون عند دخولها)

قال تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣]، وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

عن علي قال: «يساق الذين اتقوا ربهم إلىٰ الجنة زمرًا، حتىٰ انتهوا إلىٰ باب من أبوابها، وجدوا عنده شجرة تخرج من تحت ساقها عينان تجريان، فعدوا إلىٰ إحداهما كأنما أمروا بها، فشربوا منها، فأذهب ما في بطونهم من أذىٰ أوقذىٰ أو بأس، ثم عمدوا إلىٰ الأخرىٰ فتطهروا منها، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تغيَّر أبشارهم أو تغير بعدها أبدا، ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهوا إلىٰ خزنة الجنة، فقالوا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]. قال: ثم تتلقاهم الولدان يطيفون بهم، كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبته، فيقولون: أبشر بما أعد اللَّه لك من الكرامة ـ كذا قال ـ ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلىٰ بعض أزواجه من الحور العين، فيقول: قد جاء فلان باسمه الذي يدعىٰ به في الدنيا: فتقول: أنت رأيته؟ فيقول: أنا رأيته، وهو ذا بأثري، فيستخف إحداهن الفرح، حتىٰ تقوم علىٰ أسكُفَّةِ بابها، فإذا انتهىٰ إلىٰ منزله نظر إلىٰ أساس بنيانه، فإذا

جندل اللؤلؤ فوقه صرحٌ أخضرُ، وأصفرُ، وأحمرُ، ومن كل لون، ثم رفع رأسه، فنظر إلىٰ سقه[١]، فإذا مثل البرق، فلولا أن اللَّه قدره له لألمَّ أن يذهب ببصره، ثم طأطأ رأسه فنظر إلىٰ أزواجه وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، فنظروا إلىٰ تلك النعمة ثم اتكئوا، وقالوا: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]. ثم ينادي مناد: تحيون فلا تموتون أبدًا، وتقيمون فلا تظعنون أبدًا، وتصحون فلا تمرضون أبدًا»[٢].

(١) كذا في الأصل. والذي في المصادر: (سقفه). (ت)

(٢) رواه ابن أبي شيبة. قال ابن حجر والبوصيري: صحيح، وله حكم الرفع؛ إذ لا مجال للرأي فيه.

الباب التاسع والثلاثون

(في ذكر صفة أهل الجنة في خلقهم وطولهم وعرضهم ومقدار أسنانهم)

عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «خلق اللَّه ﷻ آدم علىٰ صورته، طوله ستون ذراعًا، فلما خلقه قال له: اذهب فسلم علىٰ أولئك النفر ـ وهم نفر من الملائكة جلوس ـ، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال: فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة اللَّه، فزادوه ورحمة اللَّه. قال: فكل من يدخل الجنة علىٰ صورة آدم، طوله ستون ذراعًا، فلم يزل ينقص الخلق بعده حتىٰ الآن»[(١)].

وعن أنس بن مالك قال: قال ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة علىٰ طول آدم ستين ذراعًا بذراع الملك، علىٰ حسن يوسف، وعلىٰ ميلاد عيسىٰ ثلاث وثلاثين سنة، وعلىٰ لسان محمد، جُرد مرد مكحلون»[(٢)].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن أهل الجنة يدخلون الجنة علىٰ قدر آدم ستون ذراعًا، علىٰ ذلك قطعت

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا.

سررهم»[١].

وأما الأخلاق فقد قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. فأخبر عن قلوبهم وتلاقي وجوههم.

في الصحيحين: «**لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم علىٰ قلب واحد، يسبحون اللَّه بكرة وعشيًا**».

وكذلك وصف اللَّه ﷻ نساءهم بأنهن أتراب. أي: في سن واحدة، ليس فيهن العجائز والشواب، وفي هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفىٰ؛ فإنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذة؛ لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة، وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها، بحيث يصل في اليوم الواحد إلىٰ مئة عذراء.

(١) رواه أبو نعيم. وأصله في «الصحيحين» مطولًا؛ دون قوله: «قطعت سررهم».

الباب الأربعون

(في ذكر أعلى أهل الجنة منزلةً، وأدناهم وأعلاهم منزلةً سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه)

قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

قال مجاهد وغيره: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾: موسىٰ. ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾: هو محمد ﷺ.

وفي حديث الإسراء المتفق علىٰ صحته: أنه لما جاور موسىٰ قال: «**رب لم أظن أن يُرفع علي أحد**»، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا اللَّه، حتىٰ جاوز سدرة المنتهىٰ.

وفي حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلىٰ علي صلاة صلىٰ اللَّه عليه عشرًا، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد اللَّه، وأرجوا أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**»[1].

---

(١) رواه مسلم.

الباب الحادي والأربعون

(في تحفة أهل الجنة إذا دخلوها)

روىٰ مسلم من حديث ثوبان قال: كنت قائمًا عند رسول اللَّه ﷺ، فجاء حبرٌ من أحبار اليهود، فقال: فمن أول الناس إجازة يوم القيامة؟ قال: «**فقراء المهاجرين**». قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «**زيادة كبد النون**». قال: فما غذاؤهم علىٰ أثره؟ قال: «**ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها**»، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «**من عين فيها تسمىٰ سلسبيلًا**». قال: صدقت.

الباب الثاني والأربعون

(في ذكر ريح الجنة، ومن مسيرة كم يُنشَق؟)

عن عبد اللَّه بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «**من قتل قتيلًا من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا**»(١).

وعن أبي هريرة عن ﷺ قال: «**ألا من قتل نفسًا معاهدًا له ذمة اللَّه وذمة رسوله فقد أخفر بذمة اللَّه، فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفًا**»(٢).

وريح الجنة نوعان: ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحيانًا ولا تدركه العبارة، وريح يدرك بحاسة الشم للأبدان، كما تشم روائح الأزهار، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرُب وبعُد، وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء اللَّه من أنبيائه ورسله.

وعن عبد اللَّه عمرو عن النبي ﷺ قال: «**من ادعىٰ إلىٰ غير أبيه لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين عامًا**»(٣).

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه الترمذي وصححه.
(٣) رواه أحمد.

وقد أشهد اللَّه سبحانه عباده في هذه الدار آثارًا من آثار الجنة، وأنموذجًا منها من الرائحة الطيبة، واللذات المشتهاة، والمناظر البهية، والفاكهة الحسنة، والنعيم والسرور، وقرة العين.

كما جعل سبحانه نار الدنيا وآلامها وغمومها وأحزانها تذكرة بنار الآخرة، قال تعالىٰ في هذه النار: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣]، وأخبر النبي ﷺ: أن شدة الحر والبرد من أنفاس جهنم[1]، فلا بد أن يشهد عباده جنته، وما يذكرهم بها.

(١) رواه البخاري ومسلم.

الباب الثالث والأربعون
(في الأذان الذي يؤذن به مؤذِّنُ الجنة فيها)

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا»(١)، وذلك قوله ﷻ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ [الأعراف].

وعن صهيب الرومي أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادىٰ مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند اللَّه موعدًا، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، وينجينا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إلىٰ اللَّه، فواللَّه ما أعطاهم اللَّه شيئًا هو أحب إليهم من النظر إليه»(٢).

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّه ﷻ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضىٰ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: أنا

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.

أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: ربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا»[١].

ومن تراجم البخاري عليه: «باب كلام الرب مع أهل الجنة».

وفي الصحيحين عن ابن عمر أن رسول اللَّه ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم، فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، كل خالدٌ فيما هو فيه».

(١) رواه البخاري ومسلم.

الباب الرابع والأربعون

(في أشجار الجنة وبساتينها وظلالها)

قال تعالىٰ: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة]. وقال تعالىٰ: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨]. وهو جمع فنن: وهو الغصن، وقال: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

والمخضود: الذي قد خضد شوكة: أي نزع وقطع فلا شوك فيه.

عن عتبة بن عبدٍ السلمي قال: كنت جالسًا مع رسول اللَّه، فجاء أعرابي فقال: يا رسول اللَّه، أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكًا منها ـ يعني الطلح ـ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه جعل مكان كل شوكة منها ثمرة، مثل خصوة التيس الملبود، فيها سبعون لونًا من الطعام، لا يشبه لون آخر**»[1]. الملبود: الذي قد اجتمع شعره بعضه علىٰ بعض.

(فصل)

وأما الطلح: فأكثر المفسرين قالوا: إنه شجر الموز.

---

(١) رواه مسلم.

والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز إنما أراد التمثيل به لحسن نضده، وإلا فالطلح في اللغة: هو الشجر العظام من شجر البوادي.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «**إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها، فاقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾**» [الواقعة].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يقول اللَّه: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، إقرؤا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾** [السجدة]»[1].

(١) رواه الترمذي وصححه.

الباب الخامس والأربعون

(في ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها)

قال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥].

وقولهم: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: شبيهه ونظيره لا عينه، وهل المراد: هذا الذي رزقنا في الدنيا نظيره من الفواكه والثمار؟ أو هذا نظير الذي رزقناه في الجنة قبل؟

فيه قولان عن ابن عباس: «هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا».

وقال آخرون: هذا الذي رزقنا من قبل من ثمار الجنة من قبل هذا، لشدة مشابهة بعضه بعضًا في اللون والطعم.

وأما قوله ﷻ: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾.

فقال الحسن: خيار كله لا رذْل فيه، ألم تروا إلىٰ ثمر الدنيا كيف تسترذلون بعضه، وأن ذلك ليس فيه رذل.

وقالت طائفة من أصحاب رسول اللَّه ﷺ: متشابها في اللون والمرأىٰ، وليس يشبه الطعمُ الطعم.

وقال تعالىٰ: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣].

أي: ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها، فيأخذها كيف يشاء، قال البراء بن عازب: يتناول الثمرة وهو نائم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤].

قال ابن عباس: (إذا هَمَّ أن يتناول من ثمارها تدلت له حتىٰ يتناول ما يريد).

وقال تعالىٰ: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢]، وفي الجنتين الأخريين: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

وخص النخل والرمان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما وشرفهما، كما نص علىٰ حدائق النخل والأعناب في سورة (النبأ)؛ إذ هما من أفضل أنواع الفواكه وأطيبها وأحلاها.

الباب السادس والأربعون

(في زرع الجنة)

قال تعالىٰ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يومًا يحدث ـ وعنده رجل من أهل البادية ـ: «**أن رجلًا من أهل الجنة استأذن ربه ﷻ في الزرع، فقال له: أولست فيما اشتهيت؟ فقال: بلىٰ، ولكن أحب أن أزرع، فأسرع وبذر فبادر الطَّرف نباته واستواؤه، واستحصاده وتكويره أمثال الجبال، فيقول اللَّه ﷻ: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يشبعك شيء، فقال الأعرابي: يا رسول اللَّه لا نجد هذا إلا قرشيًّا أو أنصاريًّا؛ فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول اللَّه ﷺ**»[1].

(١) رواه البخاري.

الباب السابع والأربعون

(في ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذي تجري عليها)

تكرر في القرآن ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾.

وهذا يدل على أمور:

أحدها: وجود الأنهار فيها حقيقية.

الثاني: أنهار جارية لا واقفة.

الثالث: أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم، كما هو المعهود في أنهار الدنيا.

وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرَّحمٰن].

عن سعيد قال: نضاختان بالماء والفواكه.

وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ [محمد: ١٥].

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة، وأن يصير قارصًا، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذَّة شربها، وآفة العسل عدم تصفيته.

وهذا من آيات الرب تعالىٰ أن يُجري أنهارًا من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها، ويجريها في غير أخدود، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها، كما نفىٰ عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا، من الصداع والغول، واللغو والإنزاف، وعدم اللذة.

وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة، التي هي أفضل أشربة الناس، فهذا لشربهم وطهورهم، وهذا لقوتهم وغذائهم، وهذا للذتهم وسرورهم، وهذا لشفائهم ومنفعتهم.

(فصل)

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها، ثم تنحدر نازلة إلىٰ أقصىٰ درجاتها، عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «**إن في الجنة مئة درجة أعدها اللَّه ﷻ للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم اللَّه فاسألوه الفردوس؛ فإنه وسط الجنة، وأعلىٰ الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»[(١)].

عن أنس أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**بينا أنا أسير في الجنة، إذا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، قال: فضرب الملك بيده، فإذا طينة مسك أذفر**»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

وعن أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الكوثر نهر في الجنة وعدنيه ربي ﷻ**»(١).

عن مجاهد: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١] قال: الخير الكثير.

عن أنس أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١]. فقال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أعطيت الكوثر فإذا هو يجري، ولم يشق شقا، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ، فضربت بيدي إلىٰ تربته، فإذا مسك أذفر، وإذا حصباؤه اللؤلؤ**»(٢).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**سيحان وجيحان والفرات والنيل: كلٌ من أنهار الجنة**»(٣).

(فصل)

وأما العيون فقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝٤٥﴾ [الحجر]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ۝٦﴾ [الإنسان].

قال بعض السلف: معهم قضبان الذهب، حيثما مالوا مالت معهم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا﴾ [الإنسان].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه مسلم.

فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صِرفا؛ أنَّ شراب الأبرار يمزج منها؛ لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها للَّه فأخلص شرابهم، وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم.

الباب الثامن والأربعون

(في ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه)

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المرسلات].

وعن جابر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يأكل أهل الجنة ويشربون، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، ولا يبولون، طعامهم ذلك جشاء كريح المسك، يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس**»(١).

وعن زيد بن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: «**نعم، والذي نفس محمد بيده، إن أحدهم ليعطىٰ قوة مئة رجل في الأكل والشرب، والجماع والشهوة**». قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذىٰ، قال: «**تكون حاجة أحدهم رشحًا يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه**»(٢).

وعن عبد اللَّه بن عمرو في قوله تعالىٰ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: ٧١]، قال: (يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب، كل صحفةٍ فيها لون ليس في الأخرىٰ).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد.

وعن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٨] يقول: (الخمر)، ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات:٤٧]. يقول: (ليس فيها صداع)، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩]. يقول: (لا تذهب عقولهم)، وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ: ٣٤]. يقول: (ممتلئة)، وقوله: ﴿رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [المطففين: ٢٥]. يقول: (الخمر ختم بالمسك).

وعن ابن مسعود: ﴿خِتَامُهُۥ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٦]. قال: (خلطه، وليس بخاتم يختم).

فقد تضمنت هذه النصوص أن لهم فيها الخبز واللحم، والفاكهة والحلوىٰ، وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر، وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر.

فإن قيل: فأين يُشوىٰ اللحم وليس في الجنة نار؟

فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يشوي بـ: ﴿كُن﴾.

وأجاب آخرون: بأنه يشوىٰ خارج الجنة، ثم يؤتي به إليهم.

والصواب: أنه يشوىٰ في الجنة بأسباب قدرها العزيز العليم. علىٰ أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح ولا تفسد شيئًا.

وقد أخبر سبحانه أن في الجنة ظلالًا، والظلال لا بد أن تفيء مما يقابلها فقال: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ

مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ [يس].

الباب التاسع والأربعون

(في ذكر آنيتهم التي يأكلون فيها ويشربون، وأجناسها وصفاتها)

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١].

قال الليث: الصحفة: قطعة مُسْلَنْطِحة عريضة.

وأما الأكواب: قال الفراء: الكوب المستدير الرأس الذي لا أذن له.

وقال البخاري: الأكواب: الأباريق التي لا خراطيم لها.

وقال تعالىٰ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة].

الأباريق: هي الأكواب التي لها خراطيم، وإبريق: من البريق، وهو الصفاء، فهو الذي يبرق لونه من صفائه، والعرب تسمي السيف: إبريقا لبريق لونه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان].

فالقوارير: هي الزجاج، فأخبر ﷻ عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة، وأنها بصفاء الزجاج وشفافيته، وقطع سبحانه توهم كون تلك القوارير من زجاج، فقال: ﴿قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ﴾.

وقوله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ التقدير: جعل الشيء بقدر مخصوص، فقدرت الصُّناع هذه الآنية علىٰ قدر رِيهم، لا يزيد عليه ولا ينقص منه، وهذا أبلغ في لذة الشارب، فلو نقص عن ربه لنقص التذاذه، ولو زاد حتىٰ يُسئر منه حصل له ملالة وسآمه من الباقي.

وأما الكأس، فقال أبو عبيدة: هو الإناء بما فيه.

والمفسرون فسروا الكأس بالخمر، وهذا نظر منهم إلىٰ المعنىٰ والمقصود: فإن المقصود ما في الكأس لا الإناء معه. وأيضا، فإن من الأسماء ما يكون اسمًا للحال والمحل مجتمعين ومنفردين: كالنهر، والكأس.

قال أنس: كان رسول اللَّه ﷺ يعجبه الرؤيا، فربما رأىٰ الرجل الرؤيا فيسأل عنه إذا لم يكن يعرفه، فإذا أثنىٰ عليه معروف كان أعجب لرؤياه إليه. فأتته امرأة فقالت: يا رسول اللَّه ﷺ رأيت كأني أتيت فأخرجت من المدينة، فأدخلت الجنة، فسمعت وجبة انتحت[1] لها الجنة، فنظرت فإذا فلان ابن فلان، وفلان بن فلان، فسمت اثني عشر رجلًا ـ كان رسول اللَّه ﷺ قد بعث سرية قبل ذلك ـ، فجيء بهم، عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم، فقيل: اذهبوا بهم إلىٰ نهر البيذخ أو البنذخ، فغمسوا فيه فخرجوا، ووجوههم كالقمر ليلة البدر، فأتوا بصحفة من ذهب

(١) الوجبة: السقطة. وانتحت، يعني: مالت وتحركت.

فيها بُسر، فأكلوا من بسره ما شاؤوا، فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا، وأكلت معهم، فجاء البشير من تلك السرية، فقال: أصيب فلان وفلان، حتىٰ عدَّ اثني عشر رجلًا، فدعا رسول اللَّه ﷺ المرأة، فقال: «**قصي رؤياك**» فقصتها، وجعلت تقول: جئ بفلان، وفلان، كما قال[1].

(١) رواه أحمد. وصححه أبو عوانة والمصنف.

الباب الخمسون

(في ذكر لباسهم وحُليِّهم ومناديلهم وفرشهم وبُسُطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيِّهم)

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الدخان].

وقال تعالىٰ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الكهف: ٣١].

قال جماعة من المفسرين: السندس: ما رقّ من الديباج، والاستبرق: ما غلظ منه.

وأحسن الألوان الأخضر، وألين الملابس الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس، والتذاذ العين به، وبين نعومته والتذاذ الجسم به.

وقال تعالىٰ: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١]. وتأمل ما دلت عليه لفظة: ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾ من كون ذلك اللباس ظاهرًا بارزًا يجمل ظواهرهم ليس بمنزلة الشعار الباطن؛ بل الذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، لا تبلىٰ ثيابه، ولا يفنىٰ شبابه، في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر**»(١).

---

(١) رواه مسلم.

وقوله: «**لا تبلىٰ ثيابه**»: الظاهر أن المراد به الثياب المعينة لا يلحقها البلىٰ، ويحتمل: أن يراد به الجنس، بل لا يزال عليه الثياب الجدد، كما أنها لا ينقطع أكلها في جنسه؛ بل كل مأكول يخلفه آخر.

وعن أنس قال: أهدىٰ أكيدر دومة إلىٰ النبي ﷺ جبة من سندس، فتعجب الناس من حسنها، فقال: «**لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا**»[1].

ولا يخفىٰ ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه هاهنا، فإنه كان في الأنصار بمنزلة الصديق في المهاجرين، واهتز لموته العرش، وكان لا يأخذه في اللَّه لومة لائم، وختم اللَّه له بالشهادة، وآثر رضا اللَّه ورسوله علىٰ رضا قومه وعشيرته وحلفائه، ووافق حكمه الذي حكم به حكم اللَّه فوق سبع سماوات، ونعاه جبريل عليه السلام إلىٰ النبي ﷺ يوم موته، فحق له أن تكون مناديله التي يمسح بها يديه في الجنة أحسن من حلل الملوك.

(فصل)

(ومن ملابسهم التيجان علىٰ رؤوسهم)

عن ابن بريدة عن أبيه يرفعه: «**تعلموا سورة البقرة فإنَّ أَخْذَها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة**».

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

ثم سكت ساعة، ثم قال: «تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، وإنهما يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف، والقرآن يلقىٰ صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له هل تعرفني؟ فيقول له: ما أعرفك، فيقول: أنا الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطي الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع علىٰ رأسه تاج الوقار، ويكسىٰ والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ: هذًّا كان، أو ترتيلًا»[1].

(فصل)

وأما الفرش: فقد قال تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ فوصف الفرش بكونها مبطنة بالإستبرق، وهذا يدل علىٰ أمرين:

أحدهما: أن ظهائرها أعلىٰ وأحسن من بطائنها؛ لأن بطائنها للأرض، وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة.

الثاني: يدل علىٰ أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين

---

(١) رواه أحمد. وحسنه البغوي وابن كثير، وصححه البوصيري. وقال العقيلي: لا يصح في هذ الباب حديث.

البطانة والظهارة.

(فصل)

وأما البسط والزرابي: فقد قال تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية].

عن سعيد بن جبير قال: الرفرف: رياض الجنة، والعبقري: عتاق الزرابي.

وعن الحسن في قوله تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ قال: هي البسط.

وأما النمارق: قال الكلبي: وسائد مصفوفة بعضها إلي بعض.

﴿وَزَرَابِيُّ﴾ يعنىٰ: البسط، و﴿مَبْثُوثَةٌ﴾: مبسوطة منشورة.

(فصل)

وأما الرفرف: ثياب خضر تتخذ منها المحابس، وكل ما فضل من شيء فثُني وعطف فهو رفرف، وفي حديث ابن مسعود في قوله ﷻ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]، قال: (رأىٰ رفرفًا أخضر سد الأفق).

(فصل)

وأما العبقري: فقال أبو عبيدة: كل شيء من البسط

عبقري.

وتأمل كيف وصف اللَّه الفرش بأنها مرفوعة، والزرابي بأنها مبثوثة، والنمارق بأنها مصفوفة، فرفع الفرش دال علىٰ سمكها ولينها، وبث الزرابي دال علىٰ كثرتها، وأنها في كل موضع، لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه، وصفُّ المساند يدل علىٰ أنها مهيأة للاستناد إليها دائما، ليست مخبأة تصف في وقت دون وقت.

الباب الحادي والخمسون

(في ذكر خيامهم وسُرُرهم وأرائكهم وبشخاناتهم[١])

قال اللَّه تعالىٰ ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾ [الرَّحمٰن: ٧٢].

وعن أبي موسىٰ الأشعري عن النبي ﷺ قال: «**إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرىٰ بعضهم بعضًا**»[٢].

وهذه الخيام غير الغرف والقصور، بل هي خيام في البساتين، وعلىٰ شواطئ الأنهار.

وقال بعضهم: لما كن أبكارا، وعادة البكر أن تكون مقصورة في خدرها، حتىٰ يأخذها بعلها، أنشأ اللَّه ﷻ الحور وقصرهنَّ في خدور الخيام، حتىٰ يجمع بينهن وبين أوليائه في الجنة.

وأما السرر فقال تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠].

فأخبر تعالىٰ عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلىٰ جانب بعض، ليس بعضها خلف بعض، ولا بعيدًا من بعض،

---

(١) بيت البعوض، الذي يسميه العامة: «الناموسية».

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وأخبر أنها موضونة.

وقال أبو عبيدة: موضونة: منسوجة مضاعفة متداخلة، بعضها علىٰ بعض، كما توضن حلق الدرع.

عن ابن عباس قال: (مرمولة[١] بالذهب).

وقال مجاهد: موصولة بالذهب.

(فصل)

وأما الأرائك: فهي جمع أريكة.

وفي الصحاح: الأريكة: سرير منجد مزين في قبة أو بيت، فإذا لم يكن فيه سرير، فهو حجلة، والجمع الأرائك.

وفي الحديث: أن خاتم النبي ﷺ كان مثل زر الحجلة[٢]. وهو الزر الذي يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها.

(١) المضفورة المنسوجة.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

الباب الثاني والخمسون

(في ذكر خدمهم وغلمانهم)

قال تعالىٰ: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان]. وقال تعالىٰ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ [الواقعة].

قال أبو عبيدة: مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون.

وشبههم سبحانه باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلق، وفي كونه منثورًا فائدتان:

إحداهما: الدلالة علىٰ أنهم غير معطلين؛ بل مبثوثون في خدمتهم وحوائجهم.

والثاني: أن اللؤلؤ إذا كان منثورًا ـ ولا سيما علىٰ بساط من ذهب أو حرير ـ كان أحسن لمنظره وأبهىٰ من كونه مجموعًا في مكان واحد.

وقد اختلف في هؤلاء الولدان: هل هم من ولدان الدنيا، أم أنشأهم اللَّه في الجنة إنشاء؟ علىٰ قولين:

فقال علي بن أبي طالب والحسن البصري: هم أولاد المسلمين الذين يموتون، ولا حسنة لهم ولا سيئة، يكونون خدم أهل الجنة وولدانهم؛ إذ الجنة لا ولادة فيها.

وأصحاب القول الأول لا يقولون: إن هؤلاء أولاد ولدوا

لأهل الجنة فيها، وإنما يقولون: هم غلمان أنشأهم اللَّه في الجنة إنشاءً، كما أنشأ الحور العين.

قالوا: وأما ولدان أهل الدنيا فيكونون يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين سنة؛ لما رواه أبو سعيد قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من مات من أهل الجنة؛ من صغير أو كبير، يردون بني ثلاثٍ وثلاثين سنة في الجنة، لا يزيدون عليها أبدًا، وكذلك أهل النار**»(١).

والأشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة ـ كالحور العين ـ خدمًا لهم وغلمانا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤].

وهؤلاء غير أولادهم، فإن من تمام كرامة اللَّه تعالىٰ لهم أن يجعل أبناءهم مخدومين معهم، لا يجعلهم غلمانا لهم.

والمكنون: المستور المصون الذي لم تبتذله الأيدي.

وإذا تأملت لفظة الـ ﴿وِلْدَانٌ﴾، ولفظة ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ واعتبرتها بقوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ وضممت ذلك إلىٰ حديث أبي سعيد المذكور آنفًا؛ علمت أن الولدان غلمان أنشأهم الرب تعالىٰ في الجنة خدما لأهلها.

(١) رواه الترمذي، واستغربه.

الباب الثالث والخمسون

(في ذكر نساء أهل الجنة وأصنافهن، وحسنهن، وأوصافهن، وجمالهن الظاهر والباطن الذي وصفهن الله تعالى به في كتابه)

قال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

فتأمل جلالة المبشر ومنزلته وصدقه وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة، وقدر ما بشرك به، وضمنه لك علىٰ أسهل شيء عليك وأيسره، وجمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنان، وما فيها من الأنهار والثمار، ونعيم النفس بالأزواج المطهرة، ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد، وعدم انقطاعه.

والأزواج: جمع زوج، والمرأة: زوج الرجل، وهو زوجها، وبها نزل القرآن كقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وأما المطهرة: التي طهرت من الحيض والبول والنفاس، والغائط والمخاط والبصاق، وكل قذر، وكل أذىٰ يكون

من نساء الدنيا، وطُهِّر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمح به إلىٰ غير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ.

قال عبد اللَّه بن مسعود: «مطهرة: لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن».

وقال ابن عباس: «مطهرة من القذر والأذىٰ».

وقال عبدالرَّحمٰن بن زيد: المطهرة: التي لا تحيض، وأزواج الدنيا لسن بمطهرات، ألا تراهن يدمين، ويتركن الصلاة والصيام؟ قال: وكذلك خلقت حواء حتىٰ عصت، فلما عصت قال اللَّه: إني خلقتك مطهرة، وسأدميك كما دميت هذه الشجرة.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ [الدخان].

فجمع لهم بين حسن المنزل، وحصول الأمن فيه من كل مكروه، واشتماله علىٰ الثمار والأنهار، وحسن اللباس وكمال العشرة بمقابلة بعضهم بعضًا، وتمام اللذة بالحور العين، ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة، مع أمنهم من انقطاعها، ومضرتها وغائلتها، وختام ذلك أعلمهم بأنهم

لا يذوقون هناك موتًا.

والحور: جمع حوراء، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء، شديدة سواد العين.

قال قتادة: الحور: البيض.

وقال مجاهد: الحور العين، التي يحار فيهن الطرف باديا مخ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرىٰ الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد، وصفاء اللون.

والعينُ: جمع عيناء، وهي العظيمة العين من النساء.

ومن محاسن المرأة اتساع عينها في طول، وضيق العين في المرأة من العيوب.

(فصل)

وقوله تعالىٰ: ﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠].

قال يونس: قرنَّاهم بهن، وليس من عقد التزوج، قال: والعرب لا تقول: تزوجت بها، وإنما تقول تزوجتها.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝٥٢﴾ [ص].

والأتراب: فجمع ترب[(١)]: وهو لِدَة[(٢)] الإنسان.

قال ابن عباس: (مستويات علىٰ سن واحد، وميلاد واحد، بنات ثلاث وثلاثين سنة).

---

(١) التِّرْبُ: المماثل في السنِّ.

(٢) اللِّدَة: من ولد معك في وقت واحد.

وقوله تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦].

قال المفسرون: لم يطأهن، ولم يغشهن،ولم يجامعهن.

وظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا، وإنما هن من الحور العين، وأما نساء الدنيا فقد طمثهن الإنس، ونساء الجن قد طمثهن الجن، والآية تدل علىٰ ذلك.

ويدل علىٰ أنهن الحور اللاتي خلقن في الجنة:

ـ أنه سبحانه جعلهن مما أعده اللَّه في الجنة لأهلها؛ من الفاكهة والثمار والأنهار والملابس وغيرها.

ـ ويدل عليه أيضًا الآية التي بعدها، وهي قوله تعالىٰ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]، ثم قال: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٧٤].

قال الإمام أحمد: والحور العين لا يمتن عند النفخة في الصور؛ لأنهن خلقن للبقاء.

وفي الآية دليل لما ذهب إليه الجمهور: أن مؤمني الجن في الجنة، كما أن كافرهم في النار. وبوب عليه البخاري بابُ: «ثواب الجن وعقابهم».

وقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرَّحمٰن: ٥٨].

قال عامة المفسرين: أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان، شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان.

(فصل)

وقال تعالىٰ في وصفهن: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]. المقصورات: المحبوسات.

(فصل)

قال تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠].

فالخيرات جمع خَيْرة، وهي مخففة من خيِّرة، فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم، وحسان الوجوه.

(فصل)

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ [الواقعة].

أعاد الضمير إلىٰ النساء، ولم يجر لهن ذكر؛ لأن الفرش دلت عليهن، إذ هي محلهن.

وقيل: الفرش، في قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤] كناية عن النساء، كما يكنىٰ عنهن بالقوارير والأُزر وغيرها.

وقوله: ﴿عُرُبًا﴾ وهن المتحببات إلىٰ أزواجهن.

وذكر المفسرون في تفسير العُرُب: أنهن العواشق المتحببات الغنجات، الشَّكِلات المتعشقات، الغلمات المغنوجات، كل ذلك من ألفاظهم.

فجمع سبحانه بين حسن صورتها، وحسن عشرتها، وهذا غاية ما يطلب من النساء، وبه تكمل لذة الرجل بهن

وفي قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٧٤]. إعلام بكمال اللذة بهن؛ فإن لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه لها فضل علىٰ لذته بغيرها، وكذلك هي أيضًا.

(فصل)

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ [النبأ].

فالكواعب: هي الناهد، والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلىٰ أسفل، ويسمين نواهد وكواعب.

(فصل)

عن أنس أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلىٰ الأرض لملأت ما بينهما ريحًا، ولأضاءت ما بينهما، ولنصيفها علىٰ رأسها خير من الدنيا وما فيها**»[(١)].

(فصل)

والأحاديث الصحيحة إنما فيها: أن لكل منهم زوجتين، وليس في الصحيح زيادة علىٰ ذلك، فإن كانت الأحاديث محفوظة[(٢)]. فإما أن يراد بها ما لكل واحد من السراري

---

(١) رواه البخاري.

(٢) من نحو ما روي بأن: «للمؤمن ثلاث وسبعون زوجة». وعامتها ضعيفة.

زيادة علىٰ الزوجتين، ويكونون في ذلك علىٰ حسب منازلهم في القلة والكثرة كالخدم والولدان.

وإما أن يراد أنه يعطي قوة من يجامع هذا العدد، ويكون هذا هو المحفوظ، فرواه بعض هؤلاء بالمعنىٰ، فقال: له كذا وكذا زوجة. أو يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات.

ولا ريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين؛ لما في الصحيحين من حديث أبي بكر بن عبد اللَّه بن قيس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن للعبد المؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤ مجوفة طولها ستون ميلًا، للعبد المؤمن فيها أهلون فيطوف عليهم لا يرىٰ بعضهم بعضًا**»[1].

(١) متفق عليه.

الباب الرابع والخمسون

(في ذكر المادة التي خُلق منها الحور العين، وما ذكر فيها من الآثار، وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم بأزواجهن)

فأما المادة التي خلق منها الحور العين:

عن مجاهد قال: خلق الحور العين من الزعفران.

وهذا مروي عن صحابيين وهما: ابن عباس وأنس، وعن تابعيين: وهما أبو سلمة ومجاهد، وبكل حال فهن المنشآت في الجنة، لسن مولودات بين الآباء والأمهات.

وإذا كانت هذه الخلقة الآدمية التي هي من أحسن الصور وأجملها، مادتها من تراب وجاءت الصور من أحسن الصور فما الظن بصورة مخلوقة من مادة الزعفران الذي هناك!.

وعن معاذ عن النبي ﷺ قال: «**لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك اللَّه، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا**»[1].

وقال ربيعة بن كلثوم: نظر إلينا الحسن ونحن حوله

---

(١) رواه أحمد. وصححه الذهبي في «السير»، واستغربه الترمذي وأبو نعيم.

شباب، فقال: يا معشر الشباب، أما تشتاقون إلىٰ الحور العين؟

وعن يحيىٰ بن أبي كثير: أن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة، فيقلن: طالما انتظرناكم، فنحن الراضيات فلا نسخط، والمقيمات فلا نظعن، والخالدات فلا نموت، بأحسن أصوات سُمعت، وتقول: أنت حِبي وأنا حِبك، ليس دونك تقصير ولا وراءك معدل.

الباب الخامس والخمسون

(في ذكر نكاح أهل الجنة، ووطئهم، والتذاذهم بذلك أكمل لذة، ونزاهة ذلك عن المذي والمنيِّ والضعف، وأنه لا يوجب غُسلًا)

عن أبي هريرة: قيل يا رسول اللَّه، أنفضي إلىٰ نسائنا في الجنة؟ فقال: «**إن الرجل ليصل في اليوم إلىٰ مئة عذراء**»(١).

وعن أبي هريرة عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: يا رسول اللَّه أنطأ في الجنة؟ قال: «**نعم والذي نفسي بيده دَحْمًا دَحْمًا**(٢)، **فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرا**»(٣).

وعن عبد اللَّه بن مسعود في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥] قال: (شغلهم افتضاض العذارىٰ).

ولا يلحقهم بذلك جنابة، فيحتاجون إلىٰ التطهير، ولا ضعف ولا انحلال قوة، بل وطئهم وطء التذاذ ونعيم،

---

(١) رواه الطبراني. وأعله أبو حاتم وأبو زرعة والخطيب والهيثمي والبوصيري.

(٢) دحمًا: هو النكاح والوطء بدفع وإزعاج، والتكرار للتأكيد.

(٣) رواه ابن حبان.

لا آفة فيه بوجه من الوجوه. وأكمل الناس فيه أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام، فكما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة، كما قال النبي ﷺ: «**إنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**»[١].

فمن استوفىٰ طيباته ولذاته وأذهبها في هذه الدار حُرمها هناك، كما نعىٰ ﷻ علىٰ من أذهب طيباته في الدنيا واستمتع بها، ولهذا كان الصحابة ـ ومن تبعهم ـ يخافون من ذلك أشد الخوف.

قال الحسن: قدم وفد أهل البصرة مع أبي موسىٰ علىٰ عمر، فكنا ندخل عليه كل يوم وله خبز يُلت[٢]، ربما وافقناها مأدومة بالسمن، وربما وافقناها مأدومة بالزيت، وربما وافقناها مأدومة باللبن، وربما وافقنا القدائد اليابسة قد دقت ثم أغلي بها، وربما وافقنا اللحم الغريض وهو قليل، فقال ذات يوم: (إني واللَّه قد أرىٰ تعذيركم[٣]، وكراهيتكم لطعامي، إني واللَّه لو شئت لكنت من ألينكم طعامًا، وأرقكم عيشًا، ولكني سمعت رسول اللَّه عيَّر

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) اللَّت: الخلط
(٣) التعذير: التقصير في الأكل.

أقومًا بأمر فعلوه، فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠].

فمن ترك اللذة المحرمة للَّه استوفاها يوم القيامة أكمل ما تكون، ومن استوفاها هاهنا حرمها هناك، أو نقص كمالها، فلا يجعل اللَّه لذة من أوضع في معاصيه ومحارمه، كلذة من ترك شهوته للَّه أبدًا.

الباب السادس والخمسون

(في ذكر اختلاف الناس هل في الجنة حملٌ وولادةٌ أم لا؟)

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**المؤمن إذا اشتهىٰ الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنُّه في ساعة كما يشتهي**»(١).

وقد اختلف أهل العلم في هذا:

فقال بعضهم: في الجنة جماع، ولا يكون ولد، هكذا روي عن طاووس ومجاهد وإبراهيم النخعي.

وقال إسحاق بن إبراهيم في حديث: «**إذا اشتهىٰ المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة كما يشتهي**»، ولكن لا يشتهي.

وقال محمد ـ يعني البخاري ـ وقد روي عن أبي رزين العقيلي عن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد**»(٢).

قال نفاة الإيلاد: قوله: «**إذا اشتهىٰ**» معلق بالشرط، ولا يلزم من التعليق وقوع المعلق، ولا المعلق به، و (إذا) وإن كانت ظاهرة في المحقق فقد تستعمل لمجرد التعليق

---

(١) رواه أحمد. وحسنه الترمذي.

(٢) رواه الطبراني. وذكر المصنف عن ابن منده تلقيه بالتسليم. وقد استنكره ابن حجر وغيره كما سبق.

الأعم من المحقق وغيره، ويتعين ذلك لوجوه:

ـ أن اللَّه ﷻ جعل الحمل والولادة مع الحيض والمني، فلو كن النساء يحبلن في الجنة لم ينقطع عنهن الحيض والإنزال.

ـ أن اللَّه ـ سبحانه ـ قدر التناسل في الدنيا؛ لأنه قدر الموت، وأخرجهم إلىٰ هذه الدار قرنًا بعد قرن، وجعل لهم أمدًا ينتهون إليه، فلولا التناسل لبطل النوع الإنساني، ولهذا الملائكة لا تتناسل.

ـ أنه ﷻ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴿٢١﴾﴾ [الطور]، فأخبر سبحانه أنه يكرمهم بإلحاق ذرياتهم الذين كانوا لهم في الدنيا، ولو كان ينشئ لهم في الجنة ذرية أخرىٰ، لذكرهم كما ذكر ذرياتهم الذين كانوا في الدنيا؛ لأن قرة أعينهم كانت تكون بهم، كما كانت بذرياتهم من أهل الدنيا.

ـ أن الجنة لا ينمو فيها الإنسان كما ينموا في الدنيا، فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون، ولا الرجال ينمون.

الباب السابع والخمسون

(في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين وما فيه من الطرب واللذة)

قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥].

قال يحيىٰ بن أبي كثير عن قوله ﷻ: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ قال: الحبرة: اللذة والسماع.

ولا يخالف هذا قول ابن عباس: (يكرمون)، وقول مجاهد وقتادة: ينعمون، فلذة الأذن بالسماع من الحبرة والنعيم.

(فصل)

(ولهم سماع أعلىٰ من هذا)

عن محمد بن المنكدر: إذا كان يوم القيامة نادىٰ مناد: أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان؟ أسكنوهم رياض المسك، ثم يقول للملائكة: أسمعوهم تمجيدي وتحميدي.

عن مالك بن دينار في قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٤٠] قال: إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع في الجنة، ثم نودي: يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في دار الدنيا، قال:

فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنان، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٤٠].

(فصل)

ولهم سماع أعلىٰ من هذا يضمحل دونه كل سماع، وذلك حين يسمعون كلام الرب ﷻ، وخطابه وسلامه عليهم، ومحاضرته لهم، ويقرأ عليهم كلامه، فإذا سمعوه منه، فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك، إذ ليس في الجنة لذة أعظم من النظر إلىٰ وجه الرب تعالىٰ، وسماع كلامه منه، ولا يعطىٰ أهل الجنة شيئا أحب إليهم من ذلك.

الباب الثامن والخمسون

(في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم)

عن بريدة أن رجلًا سأل النبي ﷺ فقال: هل في الجنة من خيل قال: «**إن أدخلك اللَّه الجنة فلا تشاء أن تُحمل فيها علىٰ فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت إلا فعلت**». قال: وسأله رجل فقال يا رسول اللَّه: هل في الجنة من إبل؟ قال: فلم يقل ما قال لصاحبه قال: «**إن أدخلك اللَّه الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك**»[1].

وعن عبد اللَّه بن عمرو: (في الجنة عِتاق الخيل وكرائم النجائب يركبها أهلها).

(١) رواه الترمذي، وقال مضطرب، والصحيح مرسل عبدالرَّحمٰن ابن سابط، كما رجحه أبو حاتم والترمذي.

الباب التاسع والخمسون

(في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضًا، وتذاكرهم ما كان بينهم في الدنيا)

قال تعالىٰ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الصافات].

أخبر اللَّه ﷻ أن أهل الجنة أقبل بعضهم علىٰ بعض يتحدثون، ويسأل بعضهم بعضًا عن أحوال كانت في الدنيا، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلىٰ أن قال قائل منهم: كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة، ويقول ما حكاه اللَّه عنه، يقول: ﴿أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ بأنَّا نبعث ونجازىٰ بأعمالنا، ونحاسب بها بعد أن مزقنا البلىٰ، وكنا ترابًا وعظامًا، ثم يقول المؤمن لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطلعون في النار لننظر منزلة قريني هذا وما صار إليه. وهذا أظهر الأقوال.

قال مقاتل: لما قال لأهل الجنة: ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾؟ قالوا له: إنك أعرف به منا، فاطلع أنت، فأشرف فرأىٰ قرينه في سواء الجحيم، ولولا أن اللَّه عرَّفه إياه لما عرفه،

لقد تغير وجهه ولونه، وغيره العذاب أشد تغيير، فعندها قال اللَّه تعالىٰ: ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ أي: إن كدت لتهلكني، ولولا أن أنعم اللَّه علي بنعمه لكنت من المحضرين معك في العذاب.

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور].

عن حميد بن هلال قال: بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلىٰ الأسفل، ولا يزور الأسفل الأعلىٰ.

فأهل الجنة يتزاورون فيها، ويستزير بعضهم بعضًا، وبذلك تتم لذتهم وسرورهم.

الباب الستون

(في ذكر سوق الجنة، وما أعد الله تعالى فيه لأهلها)

عن أنس أن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنًا وجمالًا، فيرجعون إلىٰ أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالًا، فيقول لهم أهلوهم: واللَّه لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا، فيقولون: واللَّه وأنتم لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا»[1].

(١) رواه مسلم.

الباب الحادي والستون

(في ذكر زيارة أهل الجنة ربَّهم ﷻ)

قال ﷻ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم].

الباب الثاني والستون

(في ذكر السحاب والمطر الذي يصيبهم في الجنة)

قد جعل اللَّه ﷻ السحاب وما يمطره سببًا للرحمة والحياة في هذه الدار، ويجعله سببًا لحياة الخلق في قبورهم، حيث يمطر علىٰ الأرض أربعين صباحًا[١] مطرًا متداركًا من تحت العرش، فينبتون تحت الأرض كنبات الزرع[٢]، ويبعثون يوم القيامة والسماء تَطِشُّ عليهم[٣]، وكأنه ـ واللَّه أعلم ـ أثر ذلك المطر العظيم كما يكون في الدنيا، ويثير لهم سحابًا في الجنة يمطرهم ما شاؤوا من طيب وغيره، وكذلك أهل النار ينشئ لهم سحابًا يمطر عليهم عذابًا إلىٰ عذابهم، كما أنشأ لقوم هود وقوم شعيب سحابًا أمطر عليهم عذابًا أهلكهم، فهو سبحانه ينشئه للرحمة والعذاب.

---

(١) رواه المروزي في زياداته علىٰ «الزهد» لابن المبارك عن سلمان موقوفًا.

(٢) معناه في الصحيحين.

(٣) رواه أبو يعلىٰ عن أنس موقوفًا.

الباب الثالث والستون

(في ذكر مُلكِ الجنة، وأن أهلها كلَّهم ملوكٌ فيها)

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠].

قال بعضهم: الخدم، ولا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذن.

عن أبي هريرة قال: «**إن أدنىٰ أهل الجنة منزلة وليس فيهم دني، من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه**»(١).

(١) رواه ابن أبي الدنيا. وفيه ضعف. وقد سبق حديث المغيرة في «أدنىٰ أهل الجنة منزلة» الباب: الثالث والعشرون.

الباب الرابع والستون

(في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال، وأن موضع سوطٍ منها خيرٌ من الدنيا وما فيها)

قال تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة].

وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم علىٰ مضاجعهم، حتىٰ يقوموا إلىٰ صلاة الليل؛ بقرة الأعين في الجنة.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ «**قال اللَّه ﷻ: أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر**»، مصداق ذلك في كتاب اللَّه تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة].

وعنه في الصحيحين قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب**»[1].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وعن سهل بن سعد قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**موضع سوط في الجنة خير من الدنيا**»(١).

وكيف يُقدَّر قدر دار غرسها اللَّه بيده، وجعلها مقرًا لأحبابه، وملأها من كرامته ورحمته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص.

فإن سألت عن أرضها وتربتها؛ فهي المسك والزعفران.

وإن سألت عن سقفها؛ فهو عرش الرحمن.

وإن سألت عن بلاطها؛ فهو المسك الأذفر.

وإن سألت عن حصبائها؛ فهو اللؤلؤ والجوهر.

وإن سألت عن بنائها؛ فلبنة من فضة، ولبنة من ذهب.

وإن سألت عن أشجارها؛ فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة، لا من الحطب والخشب.

وإن سألت عن ثمرها؛ فأمثال القلال، ألين من الزبد، وأحلىٰ من العسل.

وإن سألت عن ورقها؛ فأحسن ما يكون من رقائق الحلل.

وإن سألت عن أنهارها؛ فأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفىٰ.

وإن سألت عن طعامهم؛ ففاكهة مما يتخيرون، ولحم

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

طير مما يشتهون.

وإن سألت عن شرابهم؛ فالتسنيم والزنجبيل والكافور.

وإن سألت عن آنيتهم؛ فانية الذهب والفضة في صفاء القوارير.

وإن سألت عن سعة أبوابها؛ فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام.

وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها؛ فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها.

وإن سألت عن ظلها؛ ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجدُّ السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها.

وإن سألت عن سعتها؛ فأدنىٰ أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام.

وإن سألت عن خيامها وقبابها؛ فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلا من جملة الخيام.

وإن سألت عن علاليها وجواسقها[1]؛ فهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار.

وإن سألت عن ارتفاعها؛ فانظر إلىٰ الكوكب الطالع، أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار.

وإن سألت عن لباس أهلها؛ فهو الحرير والذهب.

---

(١) الجواسق: فارسي معرب وهو تصغير قصر.

وإن سألت عن فرشها؛ فبطائنها من إستبرق مفروشة في أعلىٰ الرتب.

وإن سألت عن أرائكها؛ فهي الأسرة عليها البشخانات، وهي: الحجال مزرَّرة بأزرار الذهب، فما لها من فروج ولا خلال.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم؛ فعلىٰ صورة القمر.

وإن سألت عن أسنانهم؛ فأبناء ثلاث وثلاثين علىٰ صورة آدم أبي البشر.

وإن سألت عن سماعهم؛ فغناء أزواجهم من الحور العين، وأعلىٰ منه سماع أصوات الملائكة والنبيين، وأعلىٰ منهما سماع خطاب رب العالمين.

وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها؛ فنجائب أنشاها اللَّه مما شاء، تسير بهم حيث شاؤوا من الجنان.

وإن سألت عن حليهم وشارتهم؛ فأساور الذهب واللؤلؤ علىٰ الرؤوس ملابس التيجان.

وإن سألت عن غلمانهم؛ فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون.

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم؛ فهن الكواعب الأتراب، اللاتي جرىٰ في أعضائهن ماء الشباب، فللورد والتفاح: ما لبسته الخدود، وللرمان: ما تضمنته النهود، واللؤلؤ المنظوم: ما حوته الثغور، وللدقة واللطافة: ما

دارت عليه الخصور، تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حِبَّها فقل ما شئت في تقابل النَّيِّرَين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، يرىٰ وجهه في صحن خدها، كما يرىٰ في المرآة التي جلاها صيقلها، ويرىٰ مخ ساقها من وراء اللحم، ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها، لو اطلعت علىٰ الدنيا لملأت ما بين السماء والأرض ريحًا، ولا استنطقت أفواه الخلائق تهليلًا وتكبيرًا وتسبيحًا، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمن من علىٰ ظهرها باللَّه الحي القيوم، نصيفها علىٰ رأسها خير من الدينا وما فيها، ووصالها أشهىٰ إليه من جميع أمانيها، لا تزداد علىٰ تطاول الأحقاب إلا حسنًا وجمالًا، ولا يزداد لها طول المدىٰ إلا محبة ووصالًا، مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس، لا يفنىٰ شبابها، ولا تبلىٰ ثيابها، ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يمل طيب وصالها، قد قصرت طرفها علىٰ زوجها، فلا تطمح لأحد سواه، وقصر طرفه عليها فهي غاية أمنيته وهواه، إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته، فهو معها في غاية الأماني والأمان. هذا؛ ولم

يطمثها قبله أنس ولا جان، كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورًا، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤًا منظومًا ومنثورًا، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورًا.

وإن سألت عن السن؛ فأتراب في أعدل سن الشباب.

وإن سألت عن الحُسن؛ فهل رأيت الشمس والقمر؟!

وان سألت عن الحدَق؛ فأحسن سواد في أصفىٰ بياض، في أحسن حور.

وإن سألت عن القدود؛ فهل رأيت أحسن الأغصان؟

وإن سألت عن النهود؛ فهن الكواعب، نهودهن كألطف الرمان.

وإن سألت عن اللون؛ فكأنهن الياقوت والمرجان.

وإن سألت عن حسن الخلق؛ فهن الخيرات الحسان، اللاتي جمع لهن بين الحسن والإحسان، فأعطين جمال الباطن والظاهر، فهن أفراح النفوس، وقرة النواظر.

وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك؛ فهن العُرُب المتحببات إلىٰ الأزواج بلطافة التبعل، التي تمتزج بالروح أي امتزاج.

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها؛ أضاءت الجنة من ضحكها، وإذا انتقلت من قصر إلىٰ قصر؛ قلت هذه الشمس منتقلة في بروج فلكها. وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيالذة تلك

المعانقة والمخاصرة.

إن غنت؛ فيالذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت؛ فياحبذا تلك المؤانسة والإمتاع، وإن قبَّلت؛ فلا شيء أشهىٰ إليه من ذلك التقبيل، وإن نوَّلت؛ فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل.

هذا وإن سألت عن يوم المزيد، وزيارة العزيز الحميد، ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه، كما ترىٰ الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر ـ كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه، وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد ـ؛ فاستمع يوم ينادي المنادي: يا أهل الجنة: إن ربكم ﷻ يستزيركم فحي علىٰ زيارته، فيقولون: سمعًا وطاعة، وينهضون إلىٰ الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم، فيستوون علىٰ ظهورها مسرعين، حتىٰ إذا انتهوا إلىٰ الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعدًا، وجُمعوا هناك، فلم يغادر الداعي منهم أحدًا، أمر ﷻ بكرسيه فنصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، وجلس أدناهم ـ وحاشاهم من الدنايا ـ علىٰ كثبان المسك، وما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتىٰ إذا استقرت بهم مجالسهم، واطمأنت بهم أماكنهم، نادىٰ المنادي: يا أهل الجنة إن لكم عند اللَّه موعدًا يريد

أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة، ويزحزحنا عن النار؟ فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الجبار ـ جل جلاله وتقدست أسماؤه ـ قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة: سلام عليكم، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلىٰ لهم الرب ﷻ يضحك إليهم، ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعونه منه تعالىٰ: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني، فهذا يوم المزيد، فيجتمعون علىٰ كلمة واحدة: أن قد رضينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد فاسألوني. فيجتمعون علىٰ كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه، فيكشف الرب ﷻ الحُجُب، ويتجلىٰ لهم، فيغشاهم من نوره ما لولا أن اللَّه سبحانه وقضىٰ أن لا يحترقوا لاحترقوا، ولا يبقىٰ في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الرب تعالىٰ محاضرة، حتىٰ إنه ليقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا، يذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يا رب ألم تغفر لي فيقول: بلىٰ؛ بمغفرتي بلغت منزلتك هذه.

فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة، ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلىٰ وجه الكريم في الدار الآخرة، ويا ذلة

الراجعين بالصفقة الخاسرة. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة].

فحي علىٰ جنات عدن فإنها
منازلك الأولىٰ وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترىٰ
نعود إلىٰ أوطاننا ونسلِّم

الباب الخامس والستون

(في رؤيتهم ربَّهم ﷻ وتجلِّيهِ لهم ضاحكًا إليهم)

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب، وأجلها قدرًا، وأعلاها خطرًا، وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة، وأشدها علىٰ أهل البدعة والفرقة، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، ولمثلها فليعمل العاملون. إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم، اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وجميع الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام علىٰ تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المبطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون.

وقد أخبر اللَّه ﷻ عن أعلم الخلق به في زمانه، وهو كليمه، أنه سأل ربه تعالىٰ النظر إليه، فقال له ربه: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:

أحدها: أن لا يظن بكليم الرَّحمٰن أنه يسأل ربه ما لا يجوز عليه.

الوجه الثاني: أن اللَّه سبحانه لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالًا لأنكره عليه.

الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله تعالىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ولم يقل: إني لا أُرىٰ، ولا: إني لست بمرئي ولا تجوز رؤيتي.

وهذا يدل علىٰ أنه سبحانه مرئي، ولكن موسىٰ لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوىٰ البشر فيها عن رؤيته تعالىٰ. يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار، فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف؟

الوجه الخامس: أن اللَّه ﷻ قادر علىٰ أن يجعل الجبل مستقرًا مكانه، وليس هذا بممتنع في مقدوره، بل هو ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالًا في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته، ولو كانت الرؤيا محالًا؛ لكان ذلك نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام، فالأمران عندكم سواء.

الوجه السادس: قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾، وهذا من أبين الأدلة علىٰ جواز رؤيته ﷻ فإنه

إذا جاز أن يتجلىٰ للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب؛ فكيف يمتنع أن يتجلىٰ لأنبيائه، ورسله وأوليائه في دار كرامتهم، ويريهم نفسه؟ وأعلم سبحانه موسىٰ أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار؛ فالبشر أضعف.

الوجه السابع: أن ربه سبحانه قد كلمه منه إليه، وخاطبه وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة؛ فرؤيته أولىٰ بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم. وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين، فأنكروا أن يكلم أحدًا أو يراه أحد.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ فإنما يدل علىٰ النفي في المستقبل، ولا يدل علىٰ دوام النفي.

(فصل)

الدليل الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وأجمع أهل اللسان علىٰ أن اللقاء متىٰ نسب إلىٰ الحي السليم من العمىٰ والمانع؛ اقتضىٰ المعاينة والرؤية، ولا ينتقض هذا بقوله تعالىٰ: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ [التوبة: ٧٧]، فقد دلت الأحاديث علىٰ أن المنافقين يرونه تعالىٰ في عرصات القيامة، بل والكفار في حديث التجلي يوم القيامة.

وفي هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة:

أحدها: أنه لا يراه إلا المؤمنون.

والثاني: يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك.

والثالث: يراه المنافقون دون الكفار.

والأقوال الثلاثة في مذهب أحمد، وهي لأصحابه.

(فصل)

الدليل الثالث: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس].

فالحسنىٰ: الجنة، والزيادة: النظر إلىٰ وجهه الكريم، كذلك فسرها رسول اللَّه ﷺ.

عن صهيب قال: قرأ رسول اللَّه ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾. قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادىٰ مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند اللَّه موعدًا ويريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟! فيكشف الحجاب، فينظرون إليه فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة**»[(١)].

---

(١) رواه مسلم.

وأما الصحابة فقال حذيفة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: النظر إلىٰ وجه ربهم ﷻ.

وقال السدي، وقتادة، وسعيد بن المسيب، ومجاهد: الحسنىٰ: الجنة، والزيادة: النظر إلىٰ وجه اللَّه تعالىٰ.

وقال غير واحد من السلف في الآية: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ بعد النظر إليه، والأسانيد بذلك صحيحة.

ولما عطف سبحانه الزيادة علىٰ الحسنىٰ التي هي الجنة؛ دل علىٰ أنها أمر آخر من وراء الجنة، وقدر زائد عليها، ومن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان؛ فهو من لوازم رؤية الرب ﷻ.

(فصل)

الدليل الرابع: قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين]. ووجه الاستدلال بها: أنه ﷻ جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته، وسماع كلامه، فلو لم يره المؤمنون، ولم يسمعوا كلامه؛ كانوا أيضًا محجوبين عنه. قال الشافعي: فيها دليل علىٰ أن أولياء اللَّه يرون ربهم يوم القيامة.

(فصل)

الدليل الخامس: قوله ﷻ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

قال علي بن أبي طالب: هو النظر إلىٰ وجه اللَّه ﷻ.

(فصل)

الدليل السادس: قوله ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

والاستدلال بهذا عجب، فإنه من أدلة النفاة، وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه، وقال لي: أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح علىٰ باطله، إلا وفي ذلك الدليل ما يدل علىٰ نقض قوله، فمنها هذه الآية، وهي علىٰ جواز الرؤية أدل منها علىٰ امتناعها، فإن اللَّه سبحانه إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال، ولا يمدح به، وإنما يمدح الرب ﷻ بالعدم إذا تضمن أمرًا وجوديًّا:

كمدحه بنفي السِّنة والنوم المتضمن كمال القيومية.

ونفي الموت المتضمن كمال الحياة.

ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرا ثبوتيا، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فلو كان المراد بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أنه لا يرىٰ بحال؛ لم يكن في ذلك مدح ولا كمال؛ لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإن العدم الصرف لا يرىٰ ولا تدركه الأبصار، والرب ﷻ

يتعالىٰ أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض.

فإذًا؛ المعنىٰ أنه يرىٰ ولا يدرك، ولا يحاط به، كما كان المعنىٰ في قوله: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ﴾ [يونس: ٦١]. أنه يعلم كل شيء.

فقوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ يدل علىٰ غاية عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لعظمته لا يُدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو: الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد علىٰ الرؤية.

وقال قتادة: هو أعظم من أن تدركه الأبصار.

فالمؤمنون يرون ربهم ﷻ بأبصارهم عيانًا، ولا تدركه أبصارهم، بمعنىٰ أنها لا تحيط به.

فإنه سبحانه لعظمته يتعالىٰ أن تدركه الأبصار وتحيط به، وللطفه وخبرته يدرك الأبصار فلا تخفىٰ عليه، فهو العظيم في لطفه، اللطيف في عظمته، العالي في قربه، القريب في علوه الذي ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

(فصل)

الدليل السابع: قوله ﷻ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة] هذه الآية منادية نداء صريحًا: أن اللَّه سبحانه يُرىٰ عيانًا بالأبصار يوم القيامة. فإضافة النظر إلىٰ الوجه الذي هو محله في هذه الآية، وتعديته بأداة (إلىٰ) الصريحة

في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينه تدل علىٰ أن المراد بالنظر المضاف إلىٰ الوجه المعدىٰ بـ: (إلىٰ) خلاف حقيقته وموضوعه؛ صريح في أن اللَّه سبحانه أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلىٰ نفس الرب ﷻ فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعدِّيه بنفسه:

فإن عدي بنفسه: فمعناه التوقف والانتظار كقوله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الحديد: ١٣]. وإن عدي بـ: (في): فمعناه التفكر والاعتبار، كقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]. وإن عدي بـ: (إلىٰ): فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩]. فكيف إذا أضيف إلىٰ الوجه الذي هو محل البصر؟

قال الحسن: نظرت إلىٰ ربها ﷻ فنَضِرت بنوره.

(فصل)

وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة علىٰ الرؤية فمتواترة.

(فصل)

عن أبي هريرة أن ناسًا قالوا: يا رسول اللَّه هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**هل تضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول اللَّه. قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب**». قالوا: لا.

قال: «فإنكم ترونه كذلك»[١].

(فصل)

حديث جرير بن عبد اللَّه قال: كنا جلوسًا مع النبي ﷺ فنظر إلىٰ القمر ليلة أربع عشرة، فقال: «**إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا علىٰ صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل الغروب فافعلوا، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾**»[٢] [ق: ٣٩].

(فصل)

(في المنقول عن الأئمة الأربعة ونظرائهم وشيوخهم وأتباعهم علىٰ طريقتهم ومناهجهم)

قال مالك بن أنس: الناس ينظرون إلىٰ اللَّه ﷻ يوم القيامة بأعينهم.

وقال سفيان بن عيينة: لا يُصلىٰ خلف الجهمي، والجهمي الذي يقول: لا يرىٰ ربه يوم القيامة.

قال الربيع: قلت يا أبا عبد اللَّه، وتقول به؟[٣] قال: نعم؛ وبه أدين اللَّه، لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرىٰ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) أي: بالرؤية. وأبو عبد اللَّه هو الشافعي.

اللَّه ﷻ لما عبده.

وقال أحمد، وذُكر له عن رجل في شيء في الرؤية فغضب، وقال: من قال إن اللَّه لا يرىٰ فهو كافر.

وقال: من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمي، والجهمي كافر.

(فصل)

قد دل القرآن والسنة المتواترة، وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام، وأهل الحديث عصابة الإسلام، ويَزَك[1] الإيمان، وخاصة رسول اللَّه ﷺ: علىٰ أن اللَّه ﷻ يُرىٰ يوم القيامة بالأبصار عيانًا، كما يرىٰ القمر ليلة البدر صحوا، وكما ترىٰ الشمس في الظهيرة.

والمنحرفون في باب رؤية الرب نوعان:

أحدهما: من يزعم أنه يرىٰ في الدنيا ويحاضر ويسامر.

والثاني: من يزعم أنه لا يرىٰ في الآخرة ألبتة، ولا يكلم عباده.

وما أخبر اللَّه به ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يُكذب الفريقين.

(١) طلائع الجيش.

الباب السادس والستون

(في تكليمه ﷻ لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرته إياهم وسلامه عليهم)

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧].

وقال في حق الذين يكتمون ما أنزل اللَّه من الهدىٰ والبينات: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤] فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداء اللَّه سواء.

وقد أخبر اللَّه سبحانه أنه يسلم علىٰ أهل الجنة، وأن ذلك السلام حقيقة، وهو قول من رب رحيم.

وبالجملة فتأمل أحاديث الرؤية تجد في أكثرها ذكر التكليم.

قال البخاري في «صحيحه»: (باب كلام الرب ﷻ مع أهل الجنة). وساق عدة أحاديث.

فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه ﷻ وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة، وأعلىٰ نعيمها وأفضله، الذي ماطابت لأهلها إلا به.

الباب السابع والستون

(في أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد)

هذا مما يعلم بالاضطرار أن الرسول ﷺ أخبر به، قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أي: غير مقطوع.

ولا تنافي بين هذا وبين قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، واختلف السلف في هذا الاستثناء:

فقال الضحاك: هو في الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة، يقول سبحانه: إنهم خالدون في الجنة ما دامت السماوات والأرض، إلا مدة مكثهم في النار.

وقالت فرقة أخرىٰ: هو استثناء استثناه الرب تعالىٰ ولا يفعله، كما تقول: واللَّه لأضربنك إلا أن أرىٰ غير ذلك. وأنت لا تراه؛ بل تجزم بضربه.

وقالت فرقة أخرىٰ: العزيمة قد وقعت لهم من اللَّه بالخلود الدائم، إلاَّ أن يشاء اللَّه خلاف ذلك؛ إعلامٌ لهم بأنهم مع خلودهم في مشيئته.

وقالت فرقة أخرىٰ: المراد بالسماوات والأرض: سماء الجنة وأرضها، وهما باقيتان أبدًا، وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٨]. إن كانت ما بمعنىٰ: «من» فهم الذين يدخلون

النار ثم يخرجون منها. وإن كانت بمعنىٰ: «**الوقت**» فهو مدة احتباسهم في البرزخ والموقف.

وقالت فرقة أخرىٰ: الاستثناء راجع إلىٰ مدة لبثهم في الدنيا.

وهذه الأقوال متقاربة، ويمكن الجمع بينها بأن يقال: أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنة كل وقت، إلا وقتًا يشاءُ ألا يكونوا فيها، وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا وفي البرزخ، وفي موقف القيامة، وعلىٰ الصراط، وكون بعضهم في النار مدة، وعلىٰ كل تقدير فهذه الآية من المتشابه، وقوله تعالىٰ فيها: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]. مُحكم.

(فصل)

وهذا موضع اختلف فيه المتأخرون علىٰ ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الجنة والنار فانيتان غير أبديتين؛ بل كما هما حادثتان فهما فانيتان.

والقول الثاني: أنهما باقيتان دائمتان لا يفنيان أبدًا.

والقول الثالث: أن الجنة باقية أبدية والنار فانية.

فأما القول بفنائهما فهو قول قاله: جهم بن صفوان، وليس له فيه سلف قط من الصحابة ولا من التابعين. وأنكره عليه وعلىٰ أتباعه أئمة الإسلام وكفروهم به.

(فصل)

وأما أبدية النار ودوامها: فقال شيخ الإسلام: فيها قولان معروفان عن السلف والخلف، والنزاع في ذلك معروف عن التابعين.

من يقول: يفنيها ربها وخالقها ﷻ فإنه جعل لها أمدًا تنتهي إليه، ثم تفنىٰ ويزول عذابها.

قال شيخ الإسلام: وقد نُقل هذا القول عن عمر، وابن مسعود، وأبىٰ هريرة، وأبىٰ سعيد، وغيرهم.

قال عمر: (لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج[1]؛ لكان لهم علىٰ ذلك يوم يخرجون فيه).

ولو قدر أنه لم يُحفظ عن عمر، فتداول هؤلاء الأئمة له غير مقابلين له بالإنكار والرد، مع أنهم ينكرون علىٰ من خالف السنة بدون هذا، فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب اللَّه وسنة رسوله وإجماع الأئمة؛ لكانوا أول منكر له.

قال[2]: ولا ريب أن من قال هذا القول عن عمر، ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها، فأما قوم أصيبوا بذنوبهم، فقد علم هؤلاء وغيرهم أنهم يخرجون

---

(١) هو مثل يضرب للمبالغة في الكثرة، وعالج: رمال بين فيد والقريات علىٰ طريق مكة.

(٢) شيخ الإسلام.

منها، وأنهم لا يلبثون قدر رمل عالج، ولا قريبا منه.

ولفظ: (أهل النار) لا يختص بالموحدين؛ بل هو مختص بمن عداهم، كما قال ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون**»[(١)]، ولا يناقض هذا قوله تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، بل ما أخبر اللَّه به هو الحق والصدق الذي لا يقع خلافه، لكن إذا انقضىٰ أجلها وفنيت كما تفنىٰ الدنيا لم يُبقِ نارًا، ولم يبقَ فيها عذاب.

قالوا[(٢)]: قد ثبت ذلك عن أبي هريرة، وابن مسعود، وعبد اللَّه بن عمرو، وقد حكىٰ ابن جرير هذا القول في «**تفسيره**» عن جماعة من السلف.

(فصل)

والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق:

أحدها: اعتقاد الإجماع.

الطريق الثاني: أن القرآن دل علىٰ ذلك دلالة قطعية، فإنه ﷻ أخبر: أنه عذاب مقيم، وأنه لا يفتَّر عنهم، وأنه لن يزيدهم إلا عذابًا، وأنهم خالدين فيها أبدا، وما هم بخارجين من النار، وأنهم لا يقضي عليهم فيموتوا، ولا

---

(١) رواه مسلم.

(٢) مَن يرىٰ الفناء.

يخفف عنهم من عذابها.

الطريق الثالث: أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار، وأحاديث الشفاعة صريحة بأن هذا الحكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

الطريق الرابع: أن الرسول وقَّفنا علىٰ ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة، من غير حاجة بنا إلىٰ نقل معين، كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها.

الطريق الخامس: أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما لا تفنيان، بل هما دائمتان.

الطريق السادس: أن العقل يقضي بخلود الكفار في النار.

قال أصحاب الفناء: الكلام علىٰ هذه الطرق:

الطريق الأول: الإجماع الذي ادعيتموه غير معلوم، وإنما يظن الإجماع في هذه المسألة من لم يعرف النزاع، وقد عرف النزاع عن الصحابة فما دونهم، وقد نقلنا عنهم التصريح بذلك.

الطريق الثاني: أين في القرآن دليل واحد يدل علىٰ ذلك؟ الذي دل عليه القرآن أن الكفار خالدين في النار أبدا، وأنهم غير خارجين منها، وهذا ليس مورد النزاع،

وإنما النزاع في أنه: هل النار أبدية أو مما كتب اللَّه عليه الفناء؟ وهذه النصوص وأمثالها تقتضي خلودهم في دار العذاب ما دامت باقية، ولا يخرجون منها مع بقائها ألبتة، فالفرق بين من يخرج من الحبس ـ وهو حبس علىٰ حاله ـ وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه.

الطريق الثالث: مجيء السنة المستفيضة بخروج أهل الكبائر من النار دون أهل الشرك؛ حق، وهي إنما تدل علىٰ خروج الموحدين منها، وهي دار العذاب لم تفن، ويبقىٰ المشركون فيها ما دامت باقية.

الطريق الرابع: أن رسول اللَّه وقفنا علىٰ ذلك ضرورة؛ فالمعلوم من دينه بالضرورة أن الكفار باقون فيها ما دامت باقية، وأما كونها أبدية لا انتهاء لها ولا تفنىٰ كالجنة، فأين من القرآن والسنة دليل واحد يدل علىٰ ذلك؟

الطريق الخامس: أن في عقائد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا؛ فلا ريب أن القول بفنائهما قول أهل البدع، وأما فناء النار وحدها فقد قال به من الصحابة، وتفريقهم بين الجنة والنار؛ فكيف يكون القول به من أقوال أهل البدع؟ مع أنه لا يعرف عن أحد من أهل البدع التفريق بين الدارين.

الطريق السادس: وهو حكم العقل بتخليد أهل النار فيها؛ فإخبار عن العقل بما ليس عنده، فإن المسألة من

المسائل التي لا تعلم إلا بخبر الصادق، فهذا معترك النزال، فمن كان السمع من جانبه؛ فهو أسعد بالصواب.

فإن قيل: إلىٰ أين انتهىٰ قدمكم في هذه المسألة العظيمة؟

قيل: إلىٰ قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

الباب الثامن والستون

(في ذكر آخر أهل الجنة دخولًا إليها)

في الصحيحين عن عبد اللَّه بن مسعود قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة؛ رجل يخرج من النار حبوا، فيقول اللَّه له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأىٰ، فيرجع فيقول: يا رب، وجدتها ملأىٰ، فيقول اللَّه له: اذهب فادخل الجنة. قال: فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأىٰ فيرجع، فيقول: يا رب، وجدتها ملأىٰ، فيقول اللَّه له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا. قال: فيقول: أتسخر بي، أو تضحك بي وأنت الملك؟**». قال لقد رأيت رسول اللَّه يضحك حتىٰ بدت نواجذه، قال: فكان يقال: (ذلك أدنىٰ أهل الجنة منزلة).

الباب التاسع والستون

(وهو باب جامع فيه فصول منثورة لم تذكر فيما تقدم من الأبواب)

(فصل)

(في لسان أهل الجنة)

قال الزهري: لسان أهل الجنة عربي.

(فصل)

(في احتجاج الجنة والنار)

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «احتجت النار والجنة، فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال اللَّه ﷻ لهذه: أنت عذابي؛ أعذب بك من أشاء، وقال لهذه: أنتِ رحمتي؛ أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها»[1].

(فصل)

(في أن الجنة يبقىٰ فيها فضل فينشئ اللَّه لها خلقًا دون النار)

عن أنس عن النبي ﷺ قال: «لا تزال جهنم يلقىٰ فيها

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وتقول: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق]، حتىٰ يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلىٰ بعض، وتقول: قط قط بعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتىٰ يُنشئ اللَّه لها خلقًا، فيسكنهم الجنة»[(١)].

(فصل)

(في امتناع النوم علىٰ أهل الجنة)

عن محمد ابن المنكدر عن جابر قال: سئل نبي اللَّه، فقيل: أينام أهل الجنة؟ فقال النبي ﷺ: «النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون»[(٢)].

(فصل)

(في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجة إلىٰ درجة أعلىٰ منها)

عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «إن اللَّه ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب أنَّىٰ لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أحمد في الزهد، وهو مرسل ابن المنكدر، رجحه أبو حاتم.

(٣) رواه أحمد. وجود إسناده ابن عبد البر، وصححه ابن كثير.

(فصل)

(في إلحاق ذرية المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا عمله)

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم[1] بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٢١]. عن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته، وإن كانوا دونه في العمل، لتقر بهم عينه، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾** [الطور: ٢١]، **قال: ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين**»[2].

وقد اختلف المفسرون في الذرية، هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان؟ علىٰ ثلاثة أقوال.

واختصاص الذرية هاهنا بالصغار أظهر؛ لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات، ولا يلزم مثل هذا في الصغار؛ فإن أطفال كل رجلٍ وذريته معه في درجته.

---

(١) هكذا قرأ نافع وابن عمرو وغيرهما، وهي من القراءات العشر المتواترة.

(٢) رواه البزار، والصحيح وقفه علىٰ ابن عباس كما عند عبد الرزاق.

(فصل)

(في ذبح الموت بين الجنة والنار)

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

عن أبي سعيد قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت. قال: ثم يقال: يا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ رسول اللَّه ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم]**»[1].

وهذا الكبش، والذبح، حقيقة لا خيال ولا تمثيل.

(فصل)

(في ارتفاع العبادات في الجنة إلا عبادة الذكر فهي دائمة)

روىٰ جابر: أن النبي ﷺ قال: «**يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، ولا يبولون، ويكون**

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

طعامهم ذلك جشاء ورشحًا كرشح المسك، يُلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس»[١].

أي: تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الأنفاس كما تلهمون أنتم النفس.

(١) رواه مسلم.

الباب السبعون

(في ذكر المستحق لهذه البشرى دون غيره)

قال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وهذا في القرآن كثير، **مداره علىٰ ثلاث قواعد: إيمان، وتقوىٰ، وعمل خالص للَّه علىٰ موافقة السنة.**

فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرىٰ دون من عداهم من سائر الخلق، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها، وهي تجتمع في أصلين: إخلاص في طاعة اللَّه، وإحسان إلىٰ خلقه، وضدها يجتمع في الذين يراؤون ويمنعون الماعون، ويرجع إلىٰ خصلة واحدة، وهي موافقة الرب ﷻ في محابه، ولا طريق إلىٰ ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهرًا وباطنًا برسول اللَّه ﷺ.

(فصل)

(ونختم الكتاب بما ابتدأنا به أولًا وهو خاتمة دعوىٰ أهل الجنة)

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس].

فهرس الموضوعات

مقدمة ٥
طريقة الاختصار: ٨
فائدة الاختصار: ٩
نسبة الكتاب إلىٰ مؤلفه: ٩
الباب الأول: (في بيان وجود الجنة الآن) ٣١
الباب الثاني: (في اختلاف الناس في الجنة التي أُسكِنها آدم عليه الصلاة والسلام، هل هي جنة الخلد، أو جنةٌ أخرىٰ غيرها في موضع عالٍ من الأرض؟) ٣٥
الباب الثالث: (في سياق حجج من اختار أنها جنةُ الخلد التي يدخلها الناسُ يوم القيامة) ٣٦
الباب الرابع: (في سياق حجج الطائفة التي قالت: ليست جنةَ الخلد؛ وإنما هي جنةٌ في الأرض) ٣٨
الباب الخامس: (في جواب أرباب هذا القول لأصحاب القول الأول) ٣٩
الباب السادس: (في جواب من زعم أنها جنةُ الخلد عما احتجَّ به منازعوهم) ٤٠
الباب السابع: (في ذكر شُبَهِ من زعم أن الجنةَ لم تُخلق بعدُ) ٤١

الباب الثامن: (في الجواب عما احتجَّت به هذه الطائفة) ٤٢
الباب التاسع: (في ذكر عدد أبواب الجنة) ٤٥
الباب العاشر: (في ذكر سعة أبوابها) ٤٩
الباب الحادي عشر: (في صفة أبوابها، وأنها ذاتُ حِلَقٍ) ٥٠
الباب الثاني عشر: (في ذكر مسافة ما بين الباب والباب) ٥١
الباب الثالث عشر: (في مكان الجنة وأين هي؟)..... ٥٢
الباب الرابع عشر: (في مفتاح الجنة)..... ٥٣
الباب الخامس عشر: (في توقيع الجنة ومنشورها الذي يوقَّع به لأصحابها بعد الموت وعند دخولها) ٥٦
الباب السادس عشر: (في توحُّدِ طريق الجنة، وأنه ليس لها إلا طريقٌ واحد) ٥٩
الباب السابع عشر: (في درجاتِ الجنة)..... ٦٠
الباب الثامن عشر: (في ذكر أعلىٰ درجاتها، واسم تلك الدرجة)..... ٦٢
الباب التاسع عشر: (في عرض الرب تعالىٰ سلعته ـ الجنة ـ علىٰ عباده، وثمنها الذي طلبه منهم، وعقد التبايع الذي وقع بين المؤمنين وبين ربهم)..... ٦٤
الباب العشرون: (في طلب أهل الجنة لها من ربِّهم، وطلبها لهم، وشفاعتها فيهم إلىٰ ربِّهم ﷻ)..... ٧٠

الباب الحادي والعشرون: (في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقها) ٧٣
الباب الثاني والعشرون: (في عدد الجنات، وأنها نوعان: جنتان من ذهب، وجنتان من فضة) ٧٨
الباب الثالث والعشرون: (في خلق الرب ﷻ بعض الجنان، وغرسها بيده تفضيلًا لها علىٰ سائر الجنان) . ٨١
الباب الرابع والعشرون: (في ذكر أبواب الجنة، وخزنتها، واسم مقدَّمهم ورئيسهم) ٨٣
الباب الخامس والعشرون: (في ذكر أول من يقرعُ باب الجنة) ٨٤
الباب السادس والعشرون: (في ذكر أول الأمم دخولًا الجنة) ٨٥
الباب السابع والعشرون: (في ذكر السابقين من هذه الأمة إلىٰ الجنة، وصفتهم) ٨٦
الباب الثامن والعشرون: (في سبق الفقراءِ الأغنياءَ إلىٰ الجنة) ٨٧
الباب التاسع والعشرون: (في ذكر أصناف أهل الجنة الذين ضُمنت لهم دون غيرهم) ٨٩
الباب الثلاثون: (في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ) ٩٢
الباب الحادي والثلاثون: (في أن النساء في الجنة أكثر

من الرجال، وكذلك هم في النار)..... ٩٣
الباب الثاني والثلاثون: (فيمن يدخل الجنة في هذه الأمة بغير حساب وذكر أوصافهم) ٩٥
الباب الثالث والثلاثون: (في ذكر حثيات الرب ﷻ الذين يدخلهم الجنة) ٩٧
الباب الرابع والثلاثون: (في ذكر تربة الجنة وطينتها وحصبائها وبنائها)..... ٩٩
الباب الخامس والثلاثون: (في ذكر نورها وبياضها) ١٠١
الباب السادس والثلاثون: (في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها وخيامها)..... ١٠٢
الباب السابع والثلاثون: (في ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة، وإن لم يروها قبل ذلك)١٠٤
الباب الثامن والثلاثون: (في كيفية دخولهم الجنة، وما يُستقبلون عند دخولها) ١٠٥
الباب التاسع والثلاثون: (في ذكر صفة أهل الجنة في خلقهم وطولهم وعرضهم ومقدار أسنانهم)..... ١٠٧
الباب الأربعون: (في ذكر أعلىٰ أهل الجنة منزلةً، وأدناهم وأعلاهم منزلةً سيد ولد آدم ﷺ)..... ١٠٩
الباب الحادي والأربعون: (في تحفة أهل الجنة إذا دخلوها)..... ١١٠
الباب الثاني والأربعون: (في ذكر ريح الجنة، ومن مسيرة

كم يُنشَق؟) ١١١
الباب الثالث والأربعون: (في الأذان الذي يؤذن به مؤذِّنُ الجنة فيها) ١١٣
الباب الرابع والأربعون: (في أشجار الجنة وبساتينها وظلالها) ١١٥
الباب الخامس والأربعون: (في ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها) ١١٧
الباب السادس والأربعون: (في زرع الجنة) ١١٩
الباب السابع والأربعون: (في ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذي تجري عليها) ١٢٠
الباب الثامن والأربعون: (في ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه) ١٢٤
الباب التاسع والأربعون: (في ذكر آنيتهم التي يأكلون فيها ويشربون، وأجناسها وصفاتها) ١٢٧
الباب الخمسون: (في ذكر لباسهم وحُليِّهم ومناديلهم وفرشهم وبُسُطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيِّهم) .. ١٣٠
الباب الحادي والخمسون: في ذكر خيامهم وسُرُرهم وأرائكهم وبشخاناتهم) ١٣٥
الباب الثاني والخمسون: (في ذكر خدمهم وغلمانهم). ١٣٧
الباب الثالث والخمسون: (في ذكر نساء أهل الجنة وأصنافهن، وحسنهن، وأوصافهن، وجمالهن الظاهر والباطن

الذي وصفهن اللَّه تعالىٰ به في كتابه) ١٣٩
الباب الرابع والخمسون: (في ذكر المادة التي خُلق منها الحور العين، وما ذكر فيها من الآثار، وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم بأزواجهن)..... ١٤٦
(الباب الخامس والخمسون: (في ذكر نكاح أهل الجنة، ووطئهم، والتذاذهم بذلك أكمل لذة، ونزاهة ذلك عن المذي والمنيِّ والضعف، وأنه لا يوجب غُسلًا)..... ١٤٨
الباب السادس والخمسون: (في ذكر اختلاف الناس هل في الجنة حملٌ وولادةٌ أم لا؟)..... ١٥١
الباب السابع والخمسون: (في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين وما فيه من الطرب واللذة)..... ١٥٣
الباب الثامن والخمسون: (في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم)..... ١٥٥
الباب التاسع والخمسون: (في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضًا، وتذاكرهم ما كان بينهم في الدنيا)..... ١٥٦
الباب الستون: (في ذكر سوق الجنة، وما أعد اللَّه تعالىٰ فيه لأهلها)..... ١٥٨
(الباب الحادي والستون: (في ذكر زيارة أهل الجنة ربَّهم ﷻ)..... ١٥٩
الباب الثاني والستون: (في ذكر السحاب والمطر الذي يصيبهم في الجنة)..... ١٦٠

الباب الثالث والستون: (في ذكر مُلكِ الجنة، وأن أهلها كلَّهم ملوكٌ فيها)..... ١٦١
الباب الرابع والستون: (في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال، وأن موضع سوطٍ منها خيرٌ من الدنيا وما فيها)..... ١٦٢
الباب الخامس والستون: (في رؤيتهم ربَّهم ﷻ وتجلِّيهِ لهم ضاحكًا إليهم)..... ١٧١
الباب السادس والستون: (في تكليمه ﷻ لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرته إياهم وسلامه عليهم)..... ١٨١
الباب السابع والستون: (في أبدية الجنة وأنها لا تفنىٰ ولا تبيد)..... ١٨٢
الباب الثامن والستون: (في ذكر آخر أهل الجنة دخولًا إليها)..... ١٨٩
الباب التاسع والستون: (وهو باب جامع فيه فصول منثورة لم تذكر فيما تقدم من الأبواب)..... ١٩٠
الباب السبعون: (في ذكر المستحق لهذه البشرىٰ دون غيره)..... ١٩٥
فهرس الموضوعات..... ١٩٧